منهج الاستفادة العلميّة من القرآن الكريم

د.محمّد على رضائى اصفهانى*

تنويه:

تعود الأبحاث المتعلّقة بالقرآن الكريم والعلوم التجريبيّة إلى ما قبل ألف سنة، وتطرح أحياناً تحت عنوان استخراج العلوم من القرآن، أو التفسير العلمى للقرآن، أو منهج الفهم العلمى من القرآن الكريم. وقد كانت علي مرّ تاريخ التفسير ـ علي رغم ما واجهت من منعطفات ـ محطّ اهتمام المفسّرين وعلماء المسلمين، بل وحتّي غير المسلمين.

إنّ بحثنا هذا يرتبط بالتفسير من ناحية، وبالإعجاز العلمى للقرآن الكريم من ناحية أخري، وبالعلوم التجريبيّة من ناحيةٍ ثالثة. ومن هنا، فهو يعدّ من الأبحاث الفرعيّة وأساساً لأبحاث فرعيّة أخري، مثل القرآن والعلوم السياسيّة، القرآن والاقتصاد، القرآن والعلوم الاجتماعيّة، القرآن وعلم الفلك، وإلى غير ذلك.

وقد علت أصوات كثيرة طوال التاريخ بشأن هذا الأسلوب، وكانت بين مؤيّدٍ ومعارض، وقد جنحت أحياناً إلى الإفراط وأخري إلى التفريط. وفى هذا المقال للدفاع عن الأسلوب المعتدل، أى توظيف العلوم أداةً فى تفسير القرآن، وكذلك للدفاع عن الأساليب الجديدة لهذا المنهج، أى التنظير العلمى المستند إلى الآيات العلميّة، خصوصاً فى حقل العلوم الإنسانيّة، سعياً إلى توجيه هذه العلوم وجهةً قرآنيّة. ومن جانب آخر يسعي هذا المقال إلى الردّ علي الأساليب الأخري، مثل استخراج جميع العلوم التجريبيّة من القرآن، أو تكلّف تحميل النظريّات العلميّة علي القرآن الكريم.

---

* باحث و استاذ جامعى .

مصطلحات محوريّة:

التفسير، الفهم (= المنهج) العلمى (العلوم التجريبيّة، وتشمل العلوم الطبيعيّة والإنسانيّة)، القرآن.

مفاهيم البحث:

إنّ عبارة «الفهم أو منهج التفسير العلمى» مركّبة من ثلاث مفردات: مفردة «المنهج (= الفهم)،» بمعنى الاستفادة من مصدر خاصّ فى التفسير بما يوضح معانى الآية والمراد منها، ويؤدّى إلى نتائج محدّدة.

أمّا مفردة «التفسير»، فقد قدّمت تعريفات مختلفة لها[١]، يمكن تلخيصها بما يلى: «كشف اللثام عن الكلمات والجمل القرآنيّة المبهمة وتوضيح مقاصدها».

أمّا مفردة «العلم»، فالمراد منها فى عنوان المقال هو (العلوم التجريبيّة)[٢] التى تنقسم إلى قسمين، هما: العلوم الطبيعيّة[٣] (من الفيزياء، الطبّ، علم الفلك وما إلى ذلك) والعلوم الإنسانيّة[٤] (من قبيل: علم الاجتماع، علم النفس ونحوهما).

وقد قدّم المختصّون من العلماء تعريفات متعدّدة حول التفسير العلمى، نشير إلى بعضها علي النحو الآتى:

يقول الدكتور الذهبى فى تعريفه للتفسير العلمى:

نريد بالتفسير العلمى: التفسير الذى يحكم الإصطلاحات العلميّة فى عبارات القرآن ، ويجتهد فى استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها.

وهو فى هذا التعريف قد اعتبر التفسير العلمى شاملاً للتفسير الفلسفى، فى حين إنّ بناء التعريفات المشهورة هو علي اعتبار هذين الاسلوبين متمايزين عن بعضهما. ونحن هنا نقصد من العلوم التجريبيّة ما يقابل العلوم العقليّة، كالفلسفة مثلاً.

كما إنّه قد قسّم التفسير العلمى إلى قسمين، هما: (تحميل النظريّات العلميّة علي

القرآن) و (استنباط العلوم من القرآن)، فى حين إنّنا سنشير فى ما بعد إلى قسمٍ ثالث، وهو (توظيف العلوم فى فهم القرآن الكريم).

أمّا السيّد أمين الخولى فيقول فى تعريفه للتفسير العلمى إلى أنّه عبارة عن التفسير الذى يعمد أنصاره إلى استخراج جميع العلوم ـ قديمها وجديدها ـ من القرآن. ويرون القرآن رقعةً واسعة من العلوم الفلسفيّة والإنسانيّة فى حقل الطبّ وعلم الفلك والفنون المختلفة، ويحكّمون المصطلحات العلميّة علي القرآن، ويسعون إلى استخراج تلك العلوم من القرآن[٥].

وقد أشار هذا التعريف أيضاً إلى كلا قسمَى التفسير العلمى، أى: (استنباط العلوم من القرآن) و (تحميل النظريّات علي القرآن)، دون الإشارة إلى القسم الثالث، وهو (توظيف العلوم فى فهم القرآن).

أمّا السيّد روترود فيلانت، فهو الآخر يؤكّد فى مقاله (تفسير القرآن فى المرحلة الجديدة) ـ المنشور فى دائرة المعارف القرآنيّة عند تعريفه للتفسير العلمى ـ علي أهمّيّة الاستنباط من القرآن، ويقول بأنّ تصوّر التفسير العلمى يجب أن يتمّ فى ضوء الافتراض القائل بأنّ جميع اكتشافات العلوم الطبيعيّة الجديدة قد تمّ التنبّؤ بها فى القرآن الكريم، وأنّ بالإمكان العثور علي قرائن وشواهد واضحة وكثيرة لذلك فى آيات القرآن ؛ فقد سبق وأشار القرآن إلى المكتشفات العلميّة ابتداءً من اكتشافات كوبرنيكوس فى علم الفلك إلى خواصّ الشحنات الكهربائيّة المستقرّة، ومن نظام وتسلسل التفاعلات الكيميائيّة إلى أسباب أمراض الالتهابات[٦].

ويعرّف عبد الرحمن العكّ التفسير العلمى بما يلى:

«..هذا التفسير يقوم أصلاً علي شرح وإيضاح الاشارات القرآنية التى تشير إلى عظيم خلق الله تعالى، وكبير تدبيره وتقديره»[٧].

وهذا التعريف قد توصّل إلى حدٍّ ما إلى المراد الأصلى من التفسير العلمى، وابتعد عن

تعريفه علي نحو الاستنباط والتحميل. ومع هذا لم يتّضح منه ما إذا كان سيتمّ توظيف العلوم القطعيّة أو النظريّات الظنّيّة فى التفسير العلمى.

أمّا الدكتور فهد الرومى فيقول فى تعريف التفسير العلمى:

«المراد بالتفسير العلمى: هو اجتهاد المفسر فى كشف الصلة بى آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبى علي وجه نظهر به إعجاز للقرآن يدل علي مصدره، وصلاحيته كل زمان وكان»[٨].

وقد اعتبر الدكتور الرفيعى ـ أيضاً ـ هذا التعريف هو الأنسب من بين التعاريف الأخري، وذلك بعد أن قام ببيان مختلف التعاريف ونقدها ومناقشتها[٩].

وبناءً علي هذا، يمكن أن نستنتج أنّ لمنهج التفسير العلمى أنواعاً وأقساماً مختلفة، وقد أدّي ذلك إلى تقديم تعاريف مختلفة له، فقد عُبّر عنه تارةً باستنباط العلوم من القرآن، وأخري بتحميل المطالب العلميّة علي القرآن. غير أنّ هدفنا من هذا المقال هو «توظيف العلوم فى فهم آيات القرآن علي نحوٍ أفضل، أى تحويل مصادر العلوم التجريبيّة القطعيّة إلى أداةٍ لتفسير وتوضيح الإشارات العلميّة لآيات القرآن، شريطة أن تراعي فى ذلك جميع معايير وضوابط التفسير الصحيح، دون أن يتمّ أىّ استنباط أو تحليل»[١٠].

خلفيّات ودوافع ظهور التفسير العلمى وأسباب انتشاره:

بزغت شمس الإسلام علي شبه الجزيرة العربيّة، ودعا هذا الدين قبائل تلك الديار ـــ التى لم يكن عدد من يعرف القراءة والكتابة فيها ليتجاوز عدد الأصابع[١١] ـ إلى طلب العلم، وقدّم القرآن متحدّياً إيّاهم أن يجاروا إعجازه[١٢].

وقد أيقظ القرآن الناسَ من سبات الجهل والغفلة، من خلال دعوتهم إلى التفكير والتدبّر فى الآيات الإلهيّة وخلق السماوات والأرض[١٣] وما إلى ذلك. وإثر الفتوحات العظيمة فى القرن الأوّل الهجرى واستيلاء المسلمين علي مناطق جديدة، أخذ المسلمون

يتعرّفون فى كلّ يومٍ علي أفكارٍ جديدة وأديانٍ أخري. وبعد انخفاض حدّة الحروب نسبيّاً، بدأت عمليّة التبادل الثقافى بين الإسلام وسائر الأديان والحضارات فى إيران والروم واليونان، وارتفعت وتيرة ترجمة كتب الأُمم الأخري ونقلها إلى اللغة العربيّة فى عصر هارون الرشيد والمأمون العبّاسيّين[١٤].

وقد أخذ المسلمون من اليونان علوماً مثل الطبّ والرياضيّات والفلك والعلوم الطبيعيّة والفلسفة، وأضافوا لها أشياء كثيرة، وبلغوا قمّة العلم بعد بضعة قرون، حتّي تمكّنوا فى القرنين الثالث والرابع من تدوين أفضل المصنّفات فى الطبّ والفلسفة ـ ككتابَى القانون فى الطبّ والشفاء فى الفلسفة لابن سينا ـ والرياضيّات والفلك.

وقد أدّت ترجمة مؤلّفات غير المسلمين فى مختلف حقول العلم، وانتقالها إلى البلاد الإسلاميّة مترامية الأطراف، إلى ظهور بعض التعارضات بين ظواهر بعض الآيات القرآنيّة والعلوم الحديثة.

وقد لجأ علماء المسلمين ـ منذ قرون الإسلام الأُولى ـ إلى طريقتين للتغلّب علي هذه المعضلة:

أ ـ ردّ المطالب الفاسدة لهذه العلوم ؛ وكان الهدف منه توعية الناس وهدايتهم؛ إذ يمكن الخدشة والإشكال فى الكثير من المبانى الفلسفيّة والعلميّة اليونانيّة، كما إنّها عارضت الدين الإسلامى من جهة أخري، وبهذا الهدف صُنّفت كتب من قبيل: (تهافت الفلاسفة) الذى صنّفه أبو حامد الغزالى، و(مفاتيح الغيب) الذى صنّفه الفخر الرازى.

ب ـ تطبيق آيات القرآن علي العلوم التجريبيّة اليونانيّة بغية إثبات أنّ القرآن حقّ، وأنّ مطالبه العلميّة صحيحة. ومن هنا تمّ حمل الآيات القرآنيّة ـ مثل ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾[١٥] ـ علي السيّارات السبع الثابتة فى الهيئة اليونانيّة. ومن هذه

النقطة ظهر منهج التفسير العلمى وأخذ بالتوسّع.

إلاّ أنّ هذا المنهج فى التفسير ـ والذى وجد فيه الشباب والمتعلّمون جاذبيّة خاصّة دائماً

ـ لم ينمُ علي وتيرةٍ واحدة فى كلّ الفترات التاريخيّة، بل ارتفعت وتيرته: تارةً بتأثير بعض العوامل حتّي بلغ القمّة، وفى أحيان أخري فقد بريقه.

وقد مرّ هذا المنهج التفسيرى بثلاث مراحل أساسيّة:

المرحلة اُولى: من حدود القرن الثانى من الهجرة، واستمرّت إلى حوالى القرن الخامس[١٦]، حيث بدأت ترجمة الكتب اليونانيّة إلى العربيّة. وقد سعي بعض المسلمين ـ كابن سينا ـ إلى تطبيق آيات القرآن علي هيئة بَطْلَيْموس. ويمكن مشاهدة نماذج من الكتابات فى التفسير العلمى فى مؤلّفات ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ).

المرحلة الثانية: وقد بدأت فى حدود القرن السادس، حين ذهب بعض العلماء إلى نظريّة مفادها اشتمال القرآن الكريم علي جميع العلوم، وأنّ بالإمكان استخراج مختلف العلوم من القرآن الكريم، وقد كان الغزالى فى مقدّمة هؤلاء العلماء.

وقد استمرّ هذان النوعان من التفسير العلمى ـ تطبيق القرآن علي العلوم، واستخراج العلوم من القرآن ـ قروناً عديدة، وكان هناك علي الدوام من يبرز من علماء المسلمين ممّن يتّفق مع هذا الأسلوب أو يخالفه[١٧].

المرحلة الثالثة: وهى التى شهدت بلوغ هذا الأسلوب ذروته وانتشاره السريع. وقد بدأت هذه المرحلة فى القرن الثامن عشر للميلاد حين تطوّرت العلوم التجريبيّة فى العالم الغربى، وعندما ترجمت الكتب فى مختلف مجالات العلوم فى الفيزياء والكيمياء والطبّ والفلك إلى العربيّة. وقد أدّت هذه المرحلة الجديدة ـ خصوصاً فى القرن الأخير، حيث تركت آثارها علي العالم الإسلامى فى مصر والهند ـ إلى أن يسعي علماء المسلمين إلى تطبيق القرآن علي العلوم التجريبيّة. وقد اكتسبت هذه المسألة أهمّيّة أكبر عندما بلغ التعارض بين العلم والدين ذروته فى أوروبا، وأخذ الكتاب المقدّس بالتراجع المتواصل بسبب تعارضه مع العلوم الجديدة، تاركاً الباب مفتوحاً أمام تغلغل الأفكار الإلحاديّة والمناوئة للدين، وقد أدّي تسرّب هذه الأفكار إلى البلدان الإسلاميّة والتفوّق الصناعى

الغربى إلى انبهار الشباب المسلم بالثقافة الغربيّة.

وفى خضمّ ذلك، انبري عدد من العلماء المسلمين للدفاع عن القرآن، وبالالتفات إلى انسجام العلم والدين من وجهة نظر الإسلام، ولم يكتفوا بإثبات أنّ القرآن لا يعارض العلوم الحديثة فقط، بل إنّ المعطيات العلميّة تُثبت الإعجاز العلمى للقرآن الكريم. ومن هنا عمدوا إلى توظيف العلوم فى فهم القرآن وصنّفوا كتباً فى التفسير العلمى[١٨]، وإن كان البعض قد أفرط أو انجذب كلّيّاً نحو الثقافة الغربيّة، وعمد إلى تأويل آيات القرآن وتفسيرها برأيه[١٩].

وحيث إنّ المبانى التفسيريّة لهذا الأسلوب لم تدرس بشكلٍ كامل، فقد كانوا عرضةً للانحراف، وربما لجأ بعض المغرضين منهم ـ الساعين لإثبات أفكارهم المنحرفة ـ إلى القيام بطرح ما أسموه تفسيراً علميّاً مقدّمين التأويلات الاعتباطيّة. وهذا بدوره أدّي إلى إثارة المشاعر عند بعض المسلمين واتّخاذهم موقفاً رافضاً للتفسير العلمى، فهاجموه باعتباره بجميع درجاته نوعاً من التفسير بالرأى والتأويل الخاطئ لآيات القرآن. وفى هذه الأثناء سلك الكثير من العلماء والمفكّرين والمفسّرين فى إيران ومصر طريق الإنصاف، وفرّقوا بين مختلف أنواع التفسير العلمى، وكذلك بين أهداف القائلين به، وكما يقال: فقد قالوا بالتفصيل بين أنواعه.

ويمكن اختصار الأسباب الرئيسة لظهور واتّساع رقعة هذا المنهج التفسيرى بين المسلمين بما يلى:

١ ـ اهتمام القرآن بالعلم وذكر الأمثلة العلميّة، وحثّه علي التفكير والتدبّر فى الآيات الإلهيّة فى السماوات والأرض ونفس الإنسان، ممّا أدّي إلى تطوّر العلوم والمعارف ومقارنتها بآيات القرآن.

٢ ـ ترجمة الكتب فى العلوم الطبيعيّة والفلسفيّة من اليونانيّة والروميّة والفارسيّة إلى العربيّة، وانتشارها بين المسلمين، حيث بدأت منذ القرن الثانى من الهجرة واستمرّت بعد

ذلك.

٣ ـ الاعتقاد باشتمال القرآن علي جميع العلوم، وضرورة الحصول عليها من خلال الآيات.

٤ ـ الاهتمام بالعلوم الطبيعيّة والاكتشافات الجديدة لإثبات الإعجاز العلمى فى القرآن، ممّا ساعد علي تطوّر التفسير العلمى.

٥ ـ انتصار مذهب الحسّيّين من فلاسفة أوروبا وتأثير ذلك علي أفكار المسلمين، ممّا ساعد علي ظهور مجموعات غريبة ومنحرفة بين المسلمين، أدّي إلى تأويل القرآن وتطبيق الآيات القرآنيّة علي هذه الاتّجاهات[٢٠].

٦ ـ إنّ إحساس علماء المسلمين بواجبهم فى الدفاع إزاء هجمات الغربيّين ضدّ الدين وإزاء إيحائهم بفكرة التعارض بين العلم والدين، أدّي إلى ورود فكرة التوفيق بين آيات القرآن والعلوم التجريبيّة إلى كتب التفسير وغيرها.

السوابق والآراء وأهمّ المؤلّفات فى مجال التفسير العلمى:

اتّخذ المفسّرون والعلماء المسلمون ثلاثة مواقف مختلفة تجاه التفسير العلمى للقرآن، نشير إليها باختصار مع مراعاة أسبقيّة التاريخ:

الأوّل ـ أنصار التفسير العلمى:

هناك جماعة من مفسّرى القرآن والفلاسفة والمفكّرين والكثير من المختصّين فى العلوم التجريبيّة أيّدوا التفسير العلمى، واستفادوا من العلوم التجريبيّة فى تفسير آيات القرآن، ومنهم:

١ ـ الشيخ الرئيس ابن سينا (٣٨٠ ـ ٤٢٨ هـ) الفيلسوف والطبيب الإيرانى الشهير، حيث فسّر (العرش) فى قوله تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [٢١]

بفلك الأفلاك، أى الفلك التاسع فى هيئة بَطْلَيمْوس. كما فسّر

(الملائكة) الثمانية بالأفلاك الثمانية، وهى القمر والشمس والزهرة وعطارد وزحل والمشترى والمرّيخ والأفلاك الثابتة[٢٢].

٢ ـ أبو حامد الغزالى (م ٥٠٥ هـ)، حيث قال فى كتابه (إحياء علوم الدين) بأنّ هناك الكثير من العلوم فى القرآن، ونقل بعض العلماء وجود سبعة وسبعين ألفا ومئتين من العلوم فى القرآن ؛ إذ لكلّ كلمة علم، وتتضاعف هذه العلوم أربع مرّات ؛ إذ لكلّ كلمةٍ ظاهرٌ وباطنٌ وحدّ ومطلع[٢٣].

وقال فى كتابه (جواهر القرآن) بأنّ إنّ علوماً ـ مثل الطبّ والفلك وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه وعلم السحر والطلاسم وغيرها ـ لا تخرج جذورها عن القرآن الكريم. وذكر أمثلة كثيرة من آيات القرآن فى ما يتعلّق بمختلف العلوم[٢٤].

٣ ـ الإمام الفخر الرازى (م ٦٠٦ هـ)، حيث عمد فى تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب) إلى تطبيق بعض المطالب العلميّة علي آيات القرآن الكريم، واستدلّ بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [٢٥] علي إثبات سكون الأرض[٢٦].

وفى ذيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢٧]، ناقش الفلكيّات القديمة وآراء بَطْلَيمْوس وقدماء الهند والصين وبابل ومصر والروم والشام.

٤ ـ ابن أبى الفضل المرسى (٥٧٠ ـ ٦٥٥ هـ)، وهو يعتقد باشتمال القرآن الكريم علي علوم الأوّلين والآخرين، ويسعي إلى استخراج علم الطبّ والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة من القرآن. وقد استشهد ببعض الآيات علي الخياطة والنجارة والصيد والحدادة

والزراعة والملاحة البحريّة[٢٨].

٥ ـ بدر الدين محمّد بن عبد اللّه الزركشى (م ٧٦٤ هـ) صاحب كتاب (البرهان فى علوم القرآن)، وهو أيضاً يري إمكان استخراج جميع العلوم من القرآن الكريم. وعلي سبيل المثال، فإنّه قد استنتج من قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [٢٩] أنّ عمر عيسي (ع) ثلاث وثلاثون سنة ؛ وذلك لاشتمال هذه الآيات علي ثلاث وثلاثين كلمة[٣٠].

٦ـ جلال الدين السيوطى (م ٩١١ هـ) صاحب كتاب (الإتقان فى علوم القرآن)، وهو أيضاً يري اشتمال القرآن علي جميع العلوم. وعلي سبيل المثال: يستنتج أنّ عمر النبى (ص) كان ثلاثا وستّين سنة، وذلك استناداً إلى قوله تعالى:﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ [٣١] ؛ لورودها فى سورة المنافقين، وهى السورة الثالثة والستّون من سور القرآن الكريم[٣٢].

٧ـ العلاّمة محمّد باقر المجلسى (م ١١١١ هـ) صاحب موسوعة (بحار الأنوار)؛ فقد ذكر فى بعض مجلّدات هذا السفر أُموراً حول السماوات، وعمد إلى التفسير العلمى فى الكثير من المواطن، منها فى قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٣٣]، حيث قال: «إنّ فيها بدلاً أو تفسيراً للسماء، وكونها سبعة لا ينافى كونها فى الواقع تسعة، كما هو الثابت فى علم الفلك ؛ إذ يعبّر عن السماء الثامنة والتاسعة فى المصطلح الدينى بالكرسى والعرش»[٣٤].

٨ ـ صدر المتألّهين الشيرازى (م ١٠٥٠ هـ) الفيلسوف الشهير، حيث ذهب فى تفسيره[٣٥] إلى تكرار نفس المطالب والاحتمالات المتقدّمة حول السماوات السبع والعرش والكرسى.

وكذلك المولى هادى السبزوارى الفيلسوف الشهير فى كتاب (شرح المنظومة)[٣٦]، حيث

فعل الشيء نفسه.

٩ ـ السيّد عبد الرحمن الكواكبي (ت ١٣٢٠ هـ)، وقد تعرّض في عدّة مواضع من كتاب (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) إلى انطباق القرآن علي العلوم التجريبيّة. واستدلّ علي انفصال القمر عن الأرض ـ طبقا لنظريّات علم الكون ـ بالآية الحادية والأربعين من سورة الرعد والآية الأُولى من سورة القمر[٣٧].

١٠ ـ السير السيّد أحمد خان الهندى (١٨١٧ ـ ١٨٩٨ م)، والسيّد أمير علي (١٢٦٥ ـ ١٣٤٧ هـ) من علماء الهند، حيث أسّسا كلّيّة للتفسير العلمى فى مدينة (عليغرة)، وعلّلا فلسفة الصلاة والصوم والزكاة والحجّ علي أساس الفوائد الجسديّة والاجتماعيّة، بل واعتبرا القوي الطبيعيّة ـ كالماء والهواء والسحاب ـ من الملائكة، وأنكرا إمكان وقوع المعاجز وتأثير الدعاء.

وقد اعترض السيّد جمال الدين الأسدآبادى فى الهند علي منهجهما التفسيرى[٣٨].

١١ ـ الدكتور محمّد بن أحمد الإسكندرانى فى كتابه (كشف الأسرار النورانيّة القرآنيّة فى ما يتعلّق بالأجرام السماويّة والأرضيّة والحيوانات والنبات والجواهر المعدنيّة) المطبوع عام ١٨٨٠ م. وهو يعتبر من أوائل القائلين بالتفسير العلمى فى العصر الحديث.

١٢ ـ الطنطاوى (المولود ١٨٦٢ م) صاحب تفسير (الجواهر فى تفسير القرآن)، حيث يمكن اعتبار تفسيره ذروة توظيف العلوم فى تفسير القرآن.

وقد استفاد فى موارد عديدة من العلوم المختلفة فى القرآن، ومن هذه الموارد: استخراجه لعلم تحضير الأرواح من الآيات المرتبطة ببقرة بنى إسرائيل[٣٩]. كما أنّه أورد الكثير من العلوم الحديثة فى تضاعيف كلّ مبحثٍ من تفسيره[٤٠].

١٣ ـ عبد الرزّاق نوفل، من الكتّاب المصريّين، وقد ألّف خمسة كتب ـ علي الأقلّ ـ

حول التفسير العلمى، منها: (القرآن والعلم الحديث)، (اللّه والعلم الحديث)، (الإسلام والعلم الحديث) و(بين الدين والعلم)، وغير ذلك.

١٤ ـ السيّد هبة الدين الشهرستانى (١٣٠١ ـ ١٣٦٩ هـ)، والذى ذكر فى كتابه (الإسلام والهيئة) استفادته حركة الأرض من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾[٤١]، وكان يعتقد: بأنّ إعلان

علماء الدين عن دعم الإسلام وتأييده للعلوم والاكتشافات الحديثة يؤدّى إلى تقوية إيمان الناس[٤٢].

١٥ ـ وهناك عدد من الكتّاب المعاصرين فى إيران ممّن كتبوا فى التفسير العلمى، وهم:

آية اللّه الطالقانى فى تفسيره (پرتوي از قرآن)، ومحمّد تقى شريعتى فى (تفسير نوين)، وحجّة الإسلام اهتمام فى كتابه (فلسفة الأحكام)، والدكتور باك‌نجاد فى كتابه (اولين دانشگاه وآخرين پيامبر)، والمهندس مهدى بازركان فى كتبه (راه طي شده) و (باد و باران در قرآن) و (مطهّرات در اسلام)، ومحمّد على الرضائى الإصفهانى فى كتبه (درآمدي بر تفسير علمي قرآن ـ ١٣٧٥ ش) و (پژوهشي در اعجاز علمي قرآن ـ ١٣٨١ ش) و (انتشارات علمي اعجازآميز قرآن ـ ١٣٨٣ ش)، وناصر الرفيعى فى كتابه (تفسير علمي قرآن ـ ١٣٨٢ ش)، وغيرهم.

تحليلٌ ومناقشة:

يمكن تصنيف هؤلاء الرجال إلى عدّة مجموعات، حيث كانت كلّ مجموعة تهدف إلى هدفٍ خاصّ:

١ ـ فهم من كان بصدد فهم القرآن من خلال العلوم التجريبيّة علي نحوٍ أفضل، بل

وعمل علي توضيح شروط وقواعد التفسير العلمى، وسعي إلى تجنّب الإفـراط والتفـريط، مثل الدكتور باك‌نجاد فى كتابه (اولين دانشگاه وآخـرين پيـامبر)، ومحمّـد علـى الرضـائى الإصفهانى فى (التفسير العلمى للقرآن).

٢ ـ وهناك من سعي إلى إثبات الإعجاز العلمى للقرآن، فادّعي مثلاً الإعجـاز العلمـى للقرآن فى تقريره لمبدأ الزوجيّة العامّ وزوجيّـة النباتـات. ومـن هـؤلاء: مـصطفي صـادق الرافعى (م ١٩٣٨ م) فى كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة)، وكاتب هذا المقال فى كتـاب (پژوهشي در اعجاز علمي قرآن)[٤٣].

٣ ـ وهناك من سعي إلى إثبات أهمّيّة العلم فى نظر الإسلام. ومـن هـؤلاء: الطنطـاوى والسيّد هبة الدين الشهرستانى، علي ما تقدّم عنهم.

٤ ـ وهناك من سعي إلى استخراج جميع العلوم من القرآن الكريم. ومن هؤلاء: الغـزالى والمرسى والزركشى والسيوطى والطنطاوى[٤٤].

والدليل الرئيس لأكثر هؤلاء فى ذهابهم إلى اشتمال القرآن علي جميع العلوم:قوله تعالى:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[٤٥]، وعليه: فقد ذهبوا إلى إمكان استخراج هذه العلوم من الآيات عن طريق إمعان النظر والتدقيق فى الآيات، ومن خلال أدوات خاصّة والاستعانة بالعلوم.

٥ ـ وهناك من طبّق النظريّات العلميّة الظنّيّة علي آيات القـرآن الكـريم. ويمكـن عـدّ الفخر الرازى ـ الذى استفاد سكون الأرض من الآيـة ٢٢ مـن سـورة البقـرة ـ والعلاّمـة المجلسى وصدر المتألّهين الشيرازى والسيّد عبد الرحمن الكواكبى وعبد الرزّاق نوفل ضـمن هذه المجموعة[٤٦].

وقد عمد بعض هؤلاء أحياناً إلى تحميل النظريّات العلميّة علي القرآن، كما صنع عبد

الرزّاق نوفل بشأن قوله تعالى:﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [٤٧]، حيث قال: «أليست هذه هي البروتونات والإلكترونات... الكهارب الواحدة موجبة وسالبة... أي النفس الواحدة... الزوجية الجنس بي موجب وسالب» حيث ذهب إلى أنّ المراد من النفس الواحدة هو البروتون، وزوجها هو الإلكترون، وهذان العنصران هما اللذان تتكوّن منهما الذرّة، وعدّ ذلك دليلاً علي الإعجاز العلمي للقرآن[٤٨].

ومن الواضح أنّ هذا التفسير لا ينسجم مع المعنَـيْين اللغـوى والاصـطلاحى للآيـة ولا يتّفق مع ظاهرها، وهو نوعٌ من تحميل النظريّات علي القرآن والتفسير بالرأى.

٦ ـ وهناك من سعي إلى إثبات أفكاره الخاطئـة، وبـادر إلى توجيـه وإنكـار معـاجز الأنبياء التي ورد ذكرها في القرآن الكريم مـستعيناً بـالعلوم التجريبيّـة. ومـن هـؤلاء يمكـن الإشارة إلى السيّد أحمد خان الهندى والسيّد أمير على ورشـيد رضـا (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥ م) في تفسير (المنار).

لقد فسّر رشيد رضا قضيّة موت الأشخاص ـ في ذيل الآية ٢٤٣ مـن سـورة البقـرة ـ بانكسارهم وفقدانهم الاستقلال، وفسّر إحياءهم بعودة الاستقلال والقـوّة إلـيهم ثانيـة[٤٩]. كما فسّر إحياء الطيور الأربعة في قصّة إبـراهيم 7 ـ في الآيـة ٢٦٠ مـن سـورة البقـرة ـ بتربيتها وتدجينها[٥٠]. في حين إنّ هذه التوجيهات مخالفة لظاهر الآيات ونوعٌ من التفـسير بالرأى.

وربما لأجل وجود هذه الإشكالات، أشكل بعضٌ ــ كالعلاّمـة الطباطبـائى ؛ ــ علـي تطبيق القرآن علي العلوم التجريبيّة، ورفضوا هذه الطريقة[٥١].

الثانى ـ المعارضون للتفسير العلمى:

١ ـ أبو إسحاق الشاطبى (م ٧٩٠ هـ) الفقيه المالكى الأندلسى، وقد رفض التفسير العلمى فى كتابه (الموافقات) وردّ أدلّة القائلين به، وقال بأنّه فى عهد نزول القرآن كان للعرب علوم، مثل: علم الفلك، وعلم أوقات نزول المطر، وعلم الطبّ والبلاغة والفصاحة، وعلم الكهانة والرمل والجفر وغيرها وقد قسّم الإسلام والقرآن هذه العلوم إلى قسمين: علوم صحيحة أيّدها وأضاف مطالب عليها، وعلوم باطلة ـ من قبيل الكهانة والرمل ونحوهما ـ فأبطلها، وبيّن منافع ومفاسد كلا القسمين، ثمّ أورد أمثلةً من القرآن لكلٍّ قسمٍ من القسمين[٥٢].

ثمّ ذكر بعد ذلك أنّ الكثير من الناس قد تجاوزوا حدودهم وادّعوا اشتمال القرآن علي جميع علوم الماضين والآتين، من قبيل: العلوم الطبيعيّة والهندسة والرياضيّات والمنطق وعلم الحروف، إلاّ أنّ هذا غير صحيح.

ثمّ يقدّم دليلاً علي مدّعاه، ويقول بأنّه لم يدّعِ ذلك أحدٌ من السلف الصالح، وقد نزل القرآن لبيان أحكام التكاليف ومسائل الآخرة وما يتفرّع عنها[٥٣].

ثمّ ردّ أدلّة القائلين بالتفسير العلمى، حيث استندوا إلى آيات منها قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[٥٤] وقوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[٥٥] وقال بأنّ هذه الآيات ذات صلة بالتعبّد والتكليف، والمراد من الكتاب فى الآية الثانية هو اللوح المحفوظ.

وحول الحروف المقطّعة فى أوائل بعض السور ذهب إلى أنّه لم يثبت صحّة عدد الجمل (الحروف الأبجديّة وتطبيقها علي الآيات)، وهذا من معارف أهل الكتاب، واعتبر أوائل

السور من المتشابهات[٥٦].

٢ ـ الشيخ محمود شلتوت (١٨٩٣ ـ ١٩٦٤ م) من شيوخ الجامع الأزهر فى مصر، هاجم التفسير العلمى من خلال مقالاته التى نشرها فى مجلّة (الرسالة) عام ١٩٤١ م، وذهب إلى خطأ هذا النوع من التفسير، وذلك:

أوّلاً: لأنّ القرآن لم ينزل لبيان نظريّات العلوم والفنون.

وثانيا: لأنّ هذه الطريقة تؤدّى إلى تأويل القرآن بشكلٍ قسرىّ متكلّف، وهذه التأويلات تنافى إعجاز القرآن ولا تناسب الذوق السليم.

وثالثاً: لأنّها تؤدّى إلى تتبّع القرآن للمسائل العلميّة فى كلّ زمان ومكان، فى حين إنّ المسائل العلميّة غير ثابتة أو مستقرّة علي حال؛ فما هو ثابت فى الوقت الحاضر سيثبت ما يخالفه فى المستقبل، فتنسحب أخطاء العلوم علي القرآن الكريم، ونظلّ علي الدوام فى موقف الدفاع. ومع ذلك فهناك وجود لإشاراتٍ فى القرآن عن العلوم والفنون.

ومن ثمّ يعمد إلى تعداد جملةٍ من الأخطاء فى التفسير العلمى أدّت إلى استنتاج مسائل غريبة من آيات القرآن[٥٧].

٣ ـ الدكتور الذهبى، من أساتذة علوم القرآن والحديث فى جامعة الأزهر بمصر، وصاحب الكتاب الشهير (التفسير والمفسّرون)، ويعدّ من علماء مصر المتأخّرين. وقد تبع رأى الشاطبى فى مخالفته للتفسير العلمى، وقال: «أما أنا فاعتقادى أن الحقّ مع الشاطبى؛ لأنّ الأدلة التى ساقها لتصحيح مدعاه أدلة قوية، لا يعتريها الضعف، ولا يتطرق إليها الخلل، ولأنّ ما أجاب به علي أدلة مخالفيه أجوبة سديدة دامغة لا تثبت أمامها حججهم، ولا يبقي معها مدعاهم»[٥٨].

٤ ـ وقد ذكرت بعض الكتب[٥٩] عدداً من الباحثينً بوصفهم من المخالفين للتفسير

العلمى، وهم عبارة عن:

١ ـ الأُستاذ أمين الخولى (١٩٥٦ م).

٢ ـ الأُستاذ عبّاس محمود العقّاد (١٩٦٤ م).

٣ ـ الأُستاذ محمّد عزّة دروزة (المولود ١٨٨٨ م).

٤ ـ الشيخ محمّد عبد العظيم الزرقانى، مؤلّف كتاب (مناهل العرفان فى علوم القرآن).

وبعد مراجعة أدلّة هؤلاء العلماء نجد أنّهم لم يأتوا بشىء أزيَد ممّا قاله الشاطبى. ولا بدّ من التذكير بأنّ الأُستاذ عبّاس محمود العقّاد قد تعرّض لبحث التفسير العلمى فى كتابيه (الإنسان فى القرآن) و (القرآن ومذهب التكامل)، وعليه لا يمكن عدّه من المخالفين بصورة مطلقة للتفسير العلمى.

تحليلٌ ومناقشة:

من خلال التدقيق فى كلام المخالفين، يتّضح أ نّهم قد خالفوا نوعاً خاصّا من التفسير العلمى، أى أ نّهم رفضوا استخراج العلوم من القرآن وتحميل النظريّات العلميّة علي القرآن. وفى هذا المجال كانت إشكالاتهم فى محلّها، ولا تزال تنتظر من يجيب عليها.

إلاّ أنّ القائلين بالتفصيل فى التفسير العلمى سعوا من خلال اقتراحهم بعض المعايير وتمييزهم بين أنواع من التفسير العلمى، للوصول إلى تفسيرٍ علمىٍّ معتدل، أو توظيف العلوم القطعيّة فى فهم القرآن، للتغلّب علي إشكالات المخالفين.

الثالث ـ دعاة التفصيل فى التفسير العلمى:

ذهب بعض المفسّرين والعلماء من المسلمين إلى اختيار نوع من التفسير العلمى وفق ضوابط محدّدة، وأنكروا النوع الآخر، أى أنّهم قالوا بالتفصيل فى هذا المجال، ومن بين الذين

ذهبوا إلى هذا النوع من التفصيل:

١ ـ سيّد قطب (١٩٠٦ ـ ١٩٦٦ م) المفكّر الإسلامى المصرى وصاحب تفسير (فى ظلال القرآن)؛ فقد أشكل فى تفسيره هذا علي التفسير العلمى، وقال: « وإنّى لأعجب لسنداجة المتحمسّين لهذا القرآن، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئياتٍ فى علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها.. كأنّما ليعظموه بهذا ويكبّروه»[٦٠].

ثمّ تعرّض إلى نوعين من التفسير والفهم من الآيات العلميّة فى القرآن الكريم، وعدّ أحدهما جائزاً والآخر غير جائز. ومثّل للنوع غير الجائز بالتطبيق التامّ لنظريّة النشوء والارتقاء علي قوله تعالى: ﴿وَلَقَد خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾[٦١]، وقال: ربما تغيّرت هذه النظريّة.

ومثّل للنوع الجائز بقوله تعالى:﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[٦٢]؛ حيث إنّ لكلّ شيء ـ مثل شكل الأرض، ومسافتها من الشمس والقمر، وحجم الشمس والقمر، وسرعة حركتهما ـ نسب دقيقة ومقدّرة بمقدار لا يمكن أن يكون حادثا من باب الصدفة، وبالإمكان التوسّع فى مفهوم هذه الآية، ولا إشكال فى ذلك[٦٣].

٢ ـ محمّد مصطفي المراغى (١٨٨١ ـ ١٩٤٥ م) شيخ جامع الأزهر ومن كبار علماء مصر والسودان. وهو من الذين كان لهم موقفان مختلفان من التفسير العلمى.

وذكر فى مقدّمته لكتاب (الإسلام والطبّ الحديث) الذى ألّفه عبد العزيز إسماعيل أنّه لا يريد القول بأنّ القرآن الكريم يحتوى علي جميع العلوم بالتفصيل، بل إنّه يحتوى علي كلّ ما تكون معرفته مهمّة للإنسان، ومن شأنه هداية الإنسان إلى الكمال من الناحية الجسديّة

والروحيّة، وقد فتح كافّة أبواب العلم أمام العلماء فى مختلف العلـوم كـى يبيّنـوا جزئيّـات ودقائق تلك العلوم لأبناء جلدتهم بحسب التطوّر الزمنى.

ويضيف بأنّ هناك من يؤوّل القرآن ويعمل علي إخـضاعه وتطبيقـه علـي النظريّـات العلميّة غير الثابتة، وفى هذا خطر كبير علي القرآن الكريم؛ إذ لا يصحّ إرجـاع القـرآن إلى النظريّات العلميّة التى لم تثبت صحّتها بعد.

وفى الختام يضيف أنّه من الضرورى عدم سحب آيات القرآن نحو العلوم فى تفـسيرها، بل إذا كان ظاهر الآية موافقاً لحقيقة علميّة ثابتة نعمد حينـها إلى تفـسير تلـك الآيـة فى ضوء تلك الحقيقة العلميّة[٦٤]، وقد لجأ المراغى إلى التفسير العلمى فى الكثير مـن المـواطن فى تفسيره.

فمثلاً: فى ذيل قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[٦٥] فسّر العَمَد بقوي الجاذبيّة العامّة[٦٦].

٣ ـ أحمد عمر أبو حجر، صاحب كتاب (التفسير العلمى فى الميزان) الذى ذكر فيه أدلّـة المؤيّدين والمخالفين للتفسير العلمى، ومن ثمّ يذهب إلى القول بالتفصيل فى التفسير العلمى، حيث يقول بأنّ الذى تطمئنّ له النفس بعد ملاحظـة آراء الطـرفين هـو أنّ الـذين أبعـدوا القرآن الكريم عن التفسير العلمى محقّون ؛ وذلك لقيام هذا النوع من التفـسير علـي الـوهم والظنّ والتكلّف فى التأويل، وأمّا إذا قام علي أمرٍ يقينىّ وعلمىّ فلا مانع من الاستفادة من نور العلم لتوضيح وبيان الحقائق العلميّة[٦٧].

وفى موضعٍ آخر يختار الطريقة الوسطي التى تخلو مـن الإفـراط والتفـريط ؛ إذ مـا دام القرآن كلام اللّه، والوجود من صنع اللّه، فيجب انطباق الحقائق العلميّة الثابتة مـع الآيـات القرآنيّة[٦٨].

٤ ـ العلاّمة الطباطبائى (ت ١٩٨١م)، صاحب كتاب (الميزان فى تفسير القرآن)، وهو من كبار المفكّرين والمفسّرين والفلاسفة الشيعة فى القرن العشرين. وقد ذكر حول التفسير العلمى أنّ من المسلمين من بالغَ فى الانغماس فى العلوم الطبيعيّة ونحوها ممّا يعتمد علي الحسّ والتجربة، فمال إلى مذهب الحسّيّين من فلاسفة أوروبا سابقاً، أو إلى مذهب أصالة العمل ـ التى لا تعير أهمّيّة للإدراكات إلاّ بمقدار ما يترتّب عليها من العمل ـ ومن هنا ذهبوا إلى عدم معارضة المعارف الدينيّة للطريقة العلميّة (أصالة الحسّ والمادّة)، وعمدوا إلى تأويل الآيات المخالفة لهذا التوجّه، بل وطبّقوا حتّي المعاد علي القوانين الماديّة وقالوا بأنّ الروح مادّيّة، وأنّها تنشأ من خواصّ المادّة، وأنّ النبوّة نبوغ اجتماعىّ خاصّ يستوجب تقنيناً لتوفّر المصالح، وذهبوا إلى عدم الاعتماد علي الروايات بسبب الخلط فيها، كما أبطل العلمُ الأسلوب العقلى الذى قام به المفسّرون القدماء فى تفسير آيات القرآن. إذن: لا بدّ من تفسير القرآن بالعلم.

ثمّ قال فى الختام: «إنّما الكلام فى أنّ ما أورده علي مسالك السلف من المفسّرين: (إنّ ذلك تطبيقاً وليس بتفسير) واردٌ بعينه علي طريقتهم فى التفسير[٦٩].

إلاّ أنّ العلاّمة نفسه يستعين فى تفسير بعض آيات القرآن بالعلوم التجريبيّة ونتائجها، كما فى ذيل قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[٧٠]، حيث ذهب إلى أنّ المراد هو أنّ للماء دوراً كاملاً فى إيجاد كلّ كائنٍ حىّ، وقد بان فى البحوث العلميّة الحديثة ارتباط الحياة بالماء[٧١].

وكذلك فى ذيل قوله تعالى:﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٧٢]، حيث قال بأنّ المراد توسعة خلق السماء، كما هو الاتّجاه فى العلوم الرياضيّة المعاصرة بشأن هذه

المسألة[٧٣] وسنبيّن فى البحوث القادمة أنّ اختلاف العلاّمة فى تعاطيه مع التفسير العلمى يعود سببه إلى أنّ للتفسير العلمى عدّة أنواع مختلفة ليس لها حكمٌ واحد. ومن هنا يعدّ العلاّمة من القائلين بالتفصيل فى التفسير العلمى.

٥ ـ آية اللّه مكارم الشيرازى، صاحب تفسير (الأمثل)، الذى يعدّ من المعتدلين فى تأييده للتفسير العلمى، حيث وافق علي نوعٍ من التفسير العلمى، واستفاد منه فى عدّة مواضع من تفسيره لإثبات الإعجاز العلمى للقرآن الكريم[٧٤]. وخالف نوعاً آخر من التفسير العلمى، واعتبره تفسيراً بالرأى[٧٥].

وقال فى ما يتعلّق بموافقته للتفسير العلمى بأنّنا نشاهد أحياناً تدخّل العلم فى تفسير القرآن، ومراده من العلم هنا الاكتشافات الثابتة بالقطع واليقين، دون الافتراضات التى تتغيّر بتغيّر الزمان، ولا يمكن تطبيق القرآن الثابت الذى لا يتغيّر علي افتراضاتٍ متغيّرة. فمثلاً: إنّ قانون الزوجيّة بين الذكر والأنثي فى عالم النبات الذى تمّ اكتشافه بعد القرن السابع عشر للميلاد، أو حركة الأرض حول نفسها، لم تعودا من الفرضيّات الخاضعة للتغيّر بتغيّر الأزمنة[٧٦].

٦ ـ آية اللّه محمّد هادى معرفة، الذى يذهب إلى أنّ الشريعة ليست درساً فى العلوم الطبيعيّة، وأنّ القرآن بالذات ليس كتابا علميّاً، وإن كان لا يخلو من إشارات عابرة فى طيّات الأهداف والغايات الأساسيّة من إنزاله، وهى الحكمة والهداية والتربية والإرشاد ونحوها ؛ حيث تتمّ الإشارة إلى بعض أسرار الوجود، ولكن علي نحوٍ مجمل ومبهم، بحيث لا يدركها إلاّ الراسخون فى العلم ؛ لأنّ القرآن ليس بصدد بيان المطالب العلميّة، ولكنّها فى الوقت نفسه صادرة عن محيط العلم الإلهى اللامتناهى.

كما أنّه يذهب إلى ضرورة العلوم والمعارف البشريّة القطعيّة لفهم القرآن الكريم، وأنّ

هناك إشارات علميّة فى القرآن لا يمكن فهمهما والوصول إلى حقيقة كنهها إلاّ من خلال الاستفادة من العلوم[٧٧]. إلاّ أنّ القرآن قطعى والعلوم غير قطعيّة ؛ وعليه: فلا بدّ من تطبيق العلوم علي القرآن دون العكس، أى بالالتفات إلى الاكتشافات العلميّة نفهم مطلباً من الآية، إلاّ أ ّننا لا نقول بأنّ المراد من الآية هو هذا الاكتشاف العلمى بضرسٍ قاطع، وإذا ادّعي ذلك شخصٌ ما كان هذا منه تحميلاً غير جائز[٧٨].

وعلي هذا، فهو ـ من خلال تفريقه الصريح بين الإسناد القطعى للعلوم التجريبيّة إلى القرآن، وبين تفسير القرآن بالعلوم التجريبيّة علي النحو الاحتمالى ـ يعدّ من القائلين بالتفصيل فى التفسير العلمى. وقد خصّص الجزء السادس من كتاب (التمهيد) للتفسير العلمى والإعجاز العلمى للقرآن، واستعرض هذه البحوث بالتفصيل.

٧ ـ آية اللّه السبحانى، وهو يعدّ من المعتدلين فى الذهاب إلى القول بالتفسير العلمى. حيث يقول فى معرض الحديث عن شروط المفسّر بأنّ الإحاطة بالآراء الفلسفيّة والعلميّة ـ التى تؤدّى إلى تفتّح الذهن وتكون سبباً لاستنباطاتٍ قيّمة من القرآن ـ من جملة شرائط تفسير القرآن بالمعنى الواقعى للكلمة؛ فقد خطا الإنسان المعاصر خطوات واسعة نحو معرفة الأرض والفضاء والحيوان والإنسان، واكتشف آفاقاً جديدة فى علمَى النفس والاجتماع.

صحيح أنّه لا يمكن القول بصحّة جميع ما قيل وصُوّر فى هذا الشأن، إلاّ أنّ الإحاطة بمثل هذه الاكتشافات العلميّة تساعد علي تعزيز وتقوية الذهنيّة الفلسفيّة والعلميّة لدي الإنسان، وتؤدّى إلى تفتّح ذهنيّة المفسّر، وتمنحه مقدرةً خاصّةً يتمكّن من خلالها أن يستفيد من القرآن بشكلٍ أفضل وأكمل. وليس المراد من ذلك تفسير القرآن من خلال الاستعانة بالفلسفة اليونانيّة أو الإسلاميّة أو العلوم الحديثة، وأن نطبّق القرآن علي هذه الأفكار غير المصونة من الخطأ ؛ لأنّ هذا لا ينتج منه إلاّ التفسير بالرأى، وهو محظور عقلاً

وشرعاً[٧٩].

وقد أشار فى كتابه (برهان الرسالة) إلى علاقة القرآن بالعلم فى موارد قانون الجاذبيّة العامّ، وكرويّة الأرض، وحركتها، وحركة الأجرام السماويّة، وقانون الزوجيّة الذى يحكم عالم النبات، واستدلّ بها علي إعجاز القرآن[٨٠].

وهو وإن كان يخالف تطبيق القرآن علي العلوم الحديثة، إلاّ أنّه يؤكّد فى الوقت نفسه علي ضرورة الاستفادة من الاكتشافات العلميّة فى تفسير القرآن. وعليه: يبدو أنّه يؤيّد توظيف العلوم فى فهم القرآن، وهذا يعتبر تفصيلاً فى التفسير العلمى.

٨ ـ التفصيل بين ثلاثة أنواع، وهى: استخراج العلوم من القرآن الكريم، تحميل النظريّات العلميّة علي القرآن، وتوظيف العلوم فى فهم القرآن. وهو ما بيّنه كاتب هذه السطور فى كتابه (درآمدي بر تفسير علمي قرآن ـ ١٣٧٥ ش)، وسيأتى مزيد توضيح له فى الصفحات القادمة.

أساليب الفهم العلمى للقرآن:

إنّ التفسير والفهم العلمى للقرآن ينقسم بدوره إلى أساليب فرعيّة مختلفة، يؤدّى بعضها إلى التفسير بالرأى، وبعضها يؤدّى إلى التفسير الصحيح والمعتبر، ومنها ما يؤدّى إلى تنظيرات علميّة للقرآن فى مختلف حقول العلم.

أ ـ استخراج جميع العلوم من القرآن الكريم:

سعي القدماء من مؤيّدى التفسير العلمى ـ من أمثال ابن أبى الفضل المرسى والغزالى ـ إلى استخراج جميع العلوم من القرآن الكريم[٨١] ؛ لاعتقادهم باشتمال القرآن علي كلّ شيء. وفى هذا الإطار كانوا يعملون علي بيان الآيات التى ينسجم ظاهرها مع أحد

القوانين العلميّة، وإذا لم تكفِ ظواهر القرآن عمدوا إلى التأويل وإرجاع ظواهر الآيات إلى النظريّات والعلوم التي يهدفون إليها. ومن هنا كانوا يستخرجون علوم الهندسة والحساب والطبّ والهيئة والجبر والمقابلة والجدل من القرآن الكريم.

ومن هذه التأويلات أنّهم استخرجوا مثلاً علم الطبّ[۸۲] من قوله تعالى حكايةً عن إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[۸۳]، واستفادوا علم الجبر من الحروف المقطّعة في أوائل السور[۸۴]، ومن قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[۸۵] تنبّأوا بزلزال عام ۷۰۲ هـ[۸۶].

ومن الواضح أنّ هذا النوع من التفسير العلمي يؤدّي إلى الكثير من التأويلات في آيات القرآن دون مراعاةٍ للقواعد الأدبيّة والظواهر والمعاني اللغويّة لهذه الآيات.

ومن هنا اعتبر الكثير من المخالفين أنّ التفسير العلمي هو نوعٌ من التأويل والترميز[۸۷]، ومن الطبيعي أنّ الإشكالات علي هذا النوع من التفسير العلمي واردةٌ وفي محلّها.

ب ـ تطبيق وتحميل النظريّات العلميّة علي القرآن الكريم:

شاع هذا النمط من التفسير العلمي في القرن الأخير، وسعي الكثيرون ـ بعد التسليم بقوانين ونظريّات العلوم التجريبيّة ـ إلى العثور علي الآيات القرآنيّة الموافقة لها، وإذا لم يعثروا علي تلك الآيات لجأوا إلى التأويل أو التفسير بالرأي، وحملوا الآيات علي خلاف معناها الظاهري.

وقد تقدّم هذا النوع من التفسير عند تفسير الآية ۱۸۹ من سورة الأعراف لعبد الرزّاق نوفل حيث فسّر (النفس) بالبروتون، و (الزوج) بالإلكترون، وقال مراد الآية أنّنا خلقناكم جميعاً من البروتون والإلكترون، وهما الجزءان ـ الموجب والسالب ـ

المكوّنان للذرّة[٨٨]. وفى هذا التفسير تمّ إغفال حتّي المعنى اللغوى والاصطلاحى لكلمة (النفس).

وقد شاع هذا النوع من التفسير فى إيران ومصر فى القرن الأخير، وأدّي إلى سوء ظنّ بعض علماء المسلمين بالنسبة إلى التفسير العلمى ككلّ، ونبذوه من الأساس بوصفه تفسيراً بالرأى وتحميلاً للنظريّات والعقائد علي القرآن، كما حدث مع العلاّمة الطباطبائى الذى أعلن أنّ التفسير العلمىّ نوع من التطبيق[٨٩].

والذى نعتقده أنّ الحقّ مع مخالفى هذا النمط من التفسير العلمى ؛ وذلك لأنّ المفسّر ينبغى أن يكون ـ أثناء عمليّة التفسير ـ بعيداً عن كلّ أنواع الأحكام المسبقة ؛ لكى يتمكّن من التفسير بشكلٍ صحيح، وإلاّ فإنّه إذا تبنّي نظريّة علميّة وحملها علي القرآن، يكون قد سار علي طريق التفسير بالرأى، وقد ورد فى الروايات الوعد بالعذاب علي من سلك هذا الطريق.

ج ـ توظيف العلوم لفهم وتفسير القرآن بشكلٍ أفضل:

وفى هذا النوع من التفسير العلمى يعمد المفسّر، وذلك إلى التفسير بعد إحرازه الشروط اللازمة ومراعاة ضوابط التفسير المعتبرة. أى أنّه يسعي ـ من خلال الاستفادة من المطالب العلميّة القطعيّة المدعومة بالدليل العقلى، والتى توافق ظاهر الآيات القرآنيّة من ناحية المعنى اللغوى والاصطلاحى ـ إلى التفسير العلمى، واكتشاف المعانى المجهولة من القرآن الكريم، ووضعها بين يدى القارئ المتعطّش للحقيقة.

إنّ هذا النوع من التفسير العلمى هو أفضل الأنواع، بل هو النوع الصحيح الوحيد من بين الأنواع الأخري للتفسير العلمى.

وسنبيّن فى البحث القادم معيار هذا النوع من التفسير بشكلٍ كامل، ولكنّنا نؤكّد هنا علي وجوب تجنّب كلّ أنواع التأويل والتفسير بالرأى فى هذه الطريقة التفسيريّة، والاكتفاء ببيان المقاصد القرآنيّة علي نحو الاحتمال ؛ وذلك لأنّ العلوم التجربيّة تقوم علي الاستقراء الناقص القائم علي أساس إمكانيّة البطلان، فقلّما يمكن بيان مطلبٍ علمىٍّ قطعىٍّ علي أساسها.

فآية: [٩٠] كان المسلمون عند نزولها فى صدر الإسلام لا يعرفون إلاّ الحركة الحسّيّة واليوميّة للشمس، ففهموا من الآية هذه الحركة، فى حين إنّ حركة الشمس من المشرق إلى المغرب حركة وهميّة سببها خطأ فى حاسّة البصر عندنا، والذى يتحرّك فى الحقيقة هو الأرض التى بسببها نتصوّر الشمس متحرّكة، كالشخص الذى يركب القطار فيتصوّر البيوت علي جانبى الطريق فى حركةٍ معاكسة لحركة القطار. ولكن بعد تقدّم العلوم واكتشاف حركة الأرض والشمس، اتّضح أنّ للشمس أيضاً حركةً انتقاليّة، وهى حركة حقيقيّة وليست وهميّة، وأنّ الشمس ـ بل جميع المنظومة الشمسيّة، وحتّي مجرّة درب التبّانة ـ فى حركةٍ مستمرّة[٩١].

وعلي هذا نقول: إذا ثبت بالقطع واليقين أنّ الشمس فى حركة، وظاهر هذه الآية يقول بأنّ الشمس فى حالة حركة، يثبت إذاً أنّ مراد الآية: الحركة الانتقاليّة الواقعيّة للشمس. ويضاف إلى ذلك أنّ القرآن يتحدّث عن (جريان) الشمس وليس حركتها، وقد ثبت فى العلوم الفلكيّة الحديثة أنّ للشمس حالة غازيّة، وأنّها بفعل الانفجارات الذرّيّة داخلها تكون فى حالة غليان مستمرّ[٩٢] وجريانٍ فى الفضاء، وهى ليست كرة جامدة تتحرّك فقط، وإنّما هى تجرى مثل الماء[٩٣].

د ـ تنظيرات القرآن العلميّة وتوجيه أسس العلوم الإنسانيّة:

أولاً ـ نظير العلمى القرآنى:

تتطرّق بعض آيات القرآن العلميّة لبيان مطالب لم تنكشف للعلم بعد، وهى وإن لم يتمّ إثباتها من طريق العلوم التجريبيّة، إلاّ أنّه لا دليل أيضاً علي نفى ذلك المطلب القرآنى. ولمّا كان الوحى نوعاً من العلم القطعى الذى ينبع من مصدر إلهى، فلا سبيل إلى الشكّ فى صحّته، وإن لم تكن بأيدينا فعلاً شواهد تجريبيّة علي إثباته، ومن الممكن أن يتمّ إثباته فى المستقبل، وذلك مثل بعض النماذج الأخري من تنبّؤات القرآن العلميّة، مثل قانون الجاذبيّة طبقاً للآية ٢ من سورة الرعد، والآية ١٠ من سورة لقمان، وغيرهما.

ويمكن عرض هذه الموارد تحت عنوان: (النظريّات العلميّة للقرآن الكريم) والبحث عن شواهدها التجريبيّة كسائر النظريّات العلميّة.

أمثلة:

١ ـ نظريّة وجود الكائنات الحيّة فى السماوات: ويمكن استفادة هذه النظريّة من بعض آيات القرآن، نظير قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ (٩٤).

فعلي الرغم من أنّه ادّعى وجود بعض الشواهد الفلكيّة علي وجود الكائنات الحيّة والعاقلة فى الكواكب البعيدة، إلاّ أنّ علماء الفلك لم يقدّموا نظريّةً قطعيّةً فى هذا المجال، ولم يثبت شيء من ذلك حتّي الآن. غير أ نّه يمكن ذكر هذا المطلب بوصفه إحدي نظريّات القرآن العلميّة، وجعلها أساساً لتحقيقات تجريبيّة واسعة فى علم الفلك(٩٥).

٢ ـ نظريّة توسّع السماوات: ويمكن التوصّل إليها من بعض آيات القرآن، مثل قوله

تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [٩٦].

وهناك رؤيتان فى الدراسات العلميّة للفيزياء الفضائيّة بشأن السماوات:

الأولى: نظريّة انبساط العالم.

والثانية: نظريّة انقباض العالم[٩٧].

وذكروا لكلّ واحدةٍ من هاتين الرؤيتين بعض الشواهد، إلاّ أ نّه لم يتمّ إثبات أىّ منهما حتّي الآن، بيد أ نّه يمكن استفادة انبساط الكون من الآية المتقدّمة[٩٨]، ويمكن جعلها أساساً للتحقيقات فى علم الفلك بوصفها نظريّة علميّة قرآنيّة.

٣ ـ **نظريّة السماوات السبع**: وقد تعرّض القرآن الكريم لذكر (السماوات السبع) مراراً وتكراراً، كما فى الآية ٢٩ من سورة البقرة، والآية ٤٤ من سورة الإسراء، والآيتين ١٧ و ٨٦ من سورة المؤمنون، والآية ١٢ من سورة فصّلت، والآية ١٢ من سورة الطلاق، والآية ١٥ من سورة نوح، والآية ١٢ من سورة النبأ.

بينما نري أنّ العلوم الفلكيّة تتحدّث عن سماء واحدة تحتوى علي آلاف المجرّات والنجوم والسيّارات، وتسكت عن السماوات الأخري ؛ لأنّ الأدوات المتوفّرة حاليّاً لعلم الكواكب والرحلات الفضائيّة لا يسعها التوصّل إلى اكتشاف ما وراء ذلك.

لقد عرض القرآن مسألة السماوات السبع بشكلٍ قاطع، فيمكن جعلها أساساً لدراساتٍ فلكيّة موسّعة بوصفها نظريّةً علميّةً قرآنيّة. وطبعاً هناك آراء مختلفة بشأن المراد من السماوات السبع، لا بدّ من مراجعتها فى تفسير الآيات المتقدّم ذكرها، وهذا المطلب يقوم علي واقعيّة العدد سبعة، وأنّ المراد من السماوات: الأفلاك التى تسبح فيها الكواكب[٩٩].

٤ ـ **نظريّة خلق الآنسان مباشرةً من التراب**: إنّ مسألة خلق الإنسان الأوّل من التراب قد تمّ التعرّض لها فى الكتب السماويّة، وخاصّة القرآن الكريم. وتدلّ بعض آيات القرآن

علي خلق الإنسان من التراب والطين، من قبيل الآية ٩٨ من سورة الأنعام، والآية ٥٩ من سورة آل عمران، والآية ١٤ من سورة الرحمن، وإن كان لبعض الآيات دلالات أخري أيضاً.

وقد طرحت نظريّة النشوء والارتقاء ـ التي تقول بتطوّر الإنسان من سلالات حيوانيّة سابقة ـ لسنوات من قبل (لامارك) و (داروين).

وعادةً كان العلماء والمفسّرون يجدون أنفسهم محاصرين بين هاتين الرؤيتين، فيختارون إحداهما وينبذون الأخري، وقد ألّفت الكثير من الكتب في هذا المجال[١٠٠].

ولكن يمكن بيان نظريّة ثالثة ربما أمكن جعلها وجهاً للجمع بين هاتين الرؤيتين، بأن يقال: إنّ التطوّر في الكائنات الحيّة إذا أمكن إثباته بالشواهد والبراهين القطعيّة، فهو مقبول. وحتّي من الممكن أن يكون قد وُجد بشر من نسل القرود ثمّ انقرضوا، إلاّ أنّ آدم بوصفه أبا البشر الفعليّين قد خلق استثناءً من التراب مباشرةً، ولو في مدّة زمنيّة طويلة.

ومن المؤكّد أنّ هناك الكثير من خصائص الإنسان الحالي غير موجودة عند القرود، بل في نظريّة التطوّر حلقة مفقودة بين القرد والإنسان، ممّا يصلح أن يكون شاهدا علي هذه النظريّة الثالثة.

ويمكن لهذه النظريّة ـ بوصفها نظريّة علميّة قرآنيّة في خلق الإنسان ـ أن تكون أساساً لتحقيقات علم الأحياء، وأن يتمّ عرضها إلى جانب نظريّة التطوّر، وتتبّع شواهدها التجريبيّة من علم الآثار والمتحجّرات والأحياء.

والجدير بالذكر أنّ في القرآن بحوثاً مفصّلة حول نظريّة التطوّر، وأنّ الآيات الموافقة والمخالفة لهذه النظريّة وآراء المفسّرين بشأنها بحاجة إلى بحوث موسّعة وردت في بعض الكتب[١٠١].

ثانيا ـ تنظيرات القرآن فـى ميدان العلوم الإنسانيّة:

وهى تشمل: أسس الإدارة فى القرآن، وأسس ومبـادئ الاقتـصاد فى القـرآن، وأسـس السياسة فى القرآن، وأسس ومبادئ العلوم التربويّة فى القرآن. فإذا تمّ الاهتمـام بمثـل هـذه الموارد والتحقيق بشأنها بشكلٍ جيّد، أمكن حينئذٍ أن تحدث ثورة فى حقل العلوم الإنسانيّة وتغيّر وجه العالم فى القرن الحادى والعشرين، وتضع حـدّاً لـسيطرة الثقافـة الغربيّـة علـي الشرق.

علي سبيل المثال:

نستفيد من آيات القرآن محوريّة اللّه تعالى، أى أنّ اللّه سبحانه وتعالى هو مصدر جميع الكائنات ومنتهي سيرها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[۱۰۲]. والأمور إنّما تكتسب قيمتها فى ما لو كانت فيها صبغة اللّه[۱۰۳] وكانت فى سبيله.

بينما نري أساس العلوم الإنسانيّة الحديثة يقوم علي محوريّة الإنـسان، حيـث إنّ لهـذا الأمر تأثيراً كبيراً فى العلوم الإنسانيّة، وخاصّة فى العلـوم التربويّـة والـسياسيّة، ويوجّهها وجهةً معيّنة.

وفى حقل الاقتصاد أيضاً، يقوم الاقتـصاد الإسـلامى علـي تحـريم الربـا، فى حـين إنّ الاقتصاد الغربى الحديث يقوم علي النظام الربوى، خاصّة فى المصارف. فإذا طبّق هذا المبدأ القرآنى فى المصارف، سنتّجه إلى نظامٍ جديد.

كما إنّ العلوم السياسيّة الحديثة فى الغرب تقوم علي أساس فصل الدين عـن الـسياسة والأمور الدنيويّة (العلمانيّة)، فى حين تقوم السياسة فى القرآن تقوم علي تـدخّل الـدين فى السياسة. ولذلك نجد القرآن قد عمد فى الكـثير مـن آياتـه إلى بيـان المـسائل الحكوميّـة

وأصول السياسة الخارجيّة وقوانين السلم والحرب وما إلى ذلك.

وكذلك في الإدارة، حيث يستفاد ضرورة مراعاة الأسس الأخلاقيّة، ومبدأ العدالة، ومكافحة الفقر.

وفي علم النفس، يستفاد الاهتمام بالبعد الروحي للإنسان، علاوة علي البعد الجسماني، ونحو ذلك.

أجل، هناك في الكثير من الآيات القرآنيّة إشارات صريحة ـ أو غير صريحة ـ إلى أسس العلوم الإنسانيّة التي نحتاج في إحصائها إلى مقالات ـ بل كتبٍ ـ عديدة[١٠٤].

أسس الفهم العلمي للقرآن:

إنّ لطريقة فهم القرآن وتفسيره العلمي أسساً تفسيريّة عامّة تجري في كافّة الأساليب التفسيريّة، من قبيل: جواز وإمكان تفسير القرآن، حظر التفسير بالرأي، وحجّيّة الظواهر والنصوص القرآنيّة.

وله كذلك أسس خاصّة تعدّ من مسلّمات هذه الطريقة، وبما أنّ هذه الأسس موجودة في مظانّها، نكتفي هنا بالإشارة إليها:

أ ـ عدم قطعيّة أغلب موارد العلوم التجريبيّة:

إنّ العلوم التجريبيّة ما هي إلاّ حصيلة التحقيقات والتجارب البشريّة التي تراكمت عبر القرون. وإلى ما قبل النصف الثاني من القرن العشرين، كانت العلوم التجريبيّة تنقسم إلى قسمين: النظريّات العلميّة غير الثابتة، والقوانين العلميّة الثابتة. فإذا تمّ تأييد نظريّةٍ علميّةٍ ما بالمشاهدة والتجارب المتكرّرة، حكم بأنّها ثابتة وأضحت قانوناً علميّاً[١٠٥].

ولكن بعد ذلك ـ ومن خلال ظهور النظريّات الحديثة في فلسفة العلم ـ اتّضح أنّ العلوم

التجريبيّة ليست سوي أساطير تنفع عند استخدامها فى مجال الطبيعة والحياة، ولا يمكن أن تتحوّل إلى قانونٍ أبداً، أى أنّنا ـ فى ما يتعلّق بتكوّن النظريّة العلميّة ـ نواجه مسألةً ومشكلةً ما فى المرحلة الأولى، وفى المرحلة الثانية نتكهّن بطريقة حلّها، ثمّ فى المرحلة الثالثة نستنتج من طريقة الحلّ بعض القضايا التى يمكن مشاهدتها وتجربتها، وفى المرحلة الرابعة نعمد إلى نفى هذه القضايا، فإن لم تبطل هذه القضايا ستبقي تلك النظريّة قائمة، وتكون هى محور العلوم ما لم تظهر نظريّة أخري أفضل منها لتحلّ محلّها[۱۰۶].

وعليه: فإنّ العلوم التجريبيّة لا تقبل الإثبات، بل هى ـ بعكس ذلك ـ قابلة للنقض والإبطال؛ فلا يوجد فى مجال العلم قانونٌ قطعىٌّ ثابت.

ومع أنّ قضايا العلوم التجريبيّة ليست قطعيّة (بمعنى القطع المعرفى)، أى أنّه لا يمكن القول بأنّ هذه القضيّة العلميّة تطابق الواقع حتماً ويستحيل تغيّرها، إلاّ أنّ بعض موارد العلوم التجريبيّة قطعيّة (بمعنى القطع الوجدانى)، وذلك عندما تغدو بعض المفردات العلميّة ـ عن طريق الحسّ أو القرائن الأخري ـ كالبديهيّات، من قبيل (حركة الأرض) التى أصبحت فى عصرنا كالبديهيّة. كما يتوصّل الإنسان أحياناً إلى القطع بقضيّةٍ علميّة عن طريق القرائن الخارجيّة، أو الأدلّة العقليّة التى تؤيّد موضوعاً علمياً.

وفى التفسير العلمى يفرّق بين العلوم التجريبيّة القطعيّة وبين النظريّات الظنّيّة فى العلوم التجريبيّة، فلا تصحّ الاستفادة من النوع الثانى فى التفسير العلمى للقرآن؛ وذلك لأنّ النظريّات العلميّة الظنّيّة قد تبقي لمئات السنين، ثمّ يطرأ عليها التغيير[۱۰۷]، فلا يمكن إقامة تفسير القرآن علي أساسها.

ب ـ وجود الإشارات العلميّة فـى القرآن وضرورة الاستفادة من العلوم التجريبيّة فـى فهمها وتفسيرها:

توجد فى القرآن الكريم أكثر من ١٣٢٢ آية تشير إلى مطالب علميّةٍ تختصّ بالطبيعة والإنسان وما إلى ذلك[١٠٨].

وتنقسم هذه الآيات ـ علي الأقلّ ـ إلى ثلاثة أقسام:

ايولّ: الإشارات العلميّة للظواهر الطبيعيّة مثل الحيوانات والطبيعة[١٠٩]، والتى لا تحمل فى ظاهرها مسألةً غريبة أو إعجازيّة. إلاّ أنّ هذه الإشارات العلميّة تلفت انتباه الإنسان إلى الطبيعة والكون وغيرهما، وقد مهّدت الأرضيّة لتقدّم وتطوّر العلوم التجريبيّة فى العالم الإسلامى.

الثانى: الإشارات العلميّة الغريبة فى القرآن، أى الآيات التى تشير إلى مواضيع علميّة خاصّة، ومن البعيد جداً صدورها من قبل شخص أمّى فى أجواء الجزيرة العربيّة فى صدر الإسلام، من قبيل الإشارات القرآنيّة لحركة الأرض[١١٠]، حيث كانت علي خلاف هيئة بطليموس وما يراه مشاهير علماء الفلك فى ذلك العصر.

ولا يمكن اعتبار هذا القسم من الآيات دليلاً علي الإعجاز العلمى للقرآن ؛ إذ فى ما يتعلّق بحركة الأرض مثلاً، كان هذا هو الرأى غير المشهور فى اليونان قبل الإسلام[١١١].

الثالث: الإشارات العلميّة الإعجازيّة للقرآن، حيث أشار القرآن الكريم إلى قانون الزوجيّة العامّ الذى يحكم الموجودات[١١٢]، وقوّة الجاذبيّة[١١٣]، وحركات الشمس[١١٤]، ومراحل خلق الإنسان[١١٥]، وتلقيح الرياح[١١٦]، فى حين بقيت هذه الحقائق العلميّة خافية ولم يظهر عليها أحدٌ من الناس حتّي بعد قرون من ظهور الإسلام ونزول القرآن. وهذا النوع من الإشارات يعدّ نوعاً من أسرار القرآن وإخباره بالمغيّبات، والتفسير العلمى هو

شرحٌ لهذا النوع من الإشارات العلميّة فی القرآن الكريم.

ج ـ انعدام إمكانيّة استفادة جميع العلوم من ظواهر الآيات القرآنيّة:

إنّ القرآن وإن كان مشتملاً علي إشارات علميّة كثيرة ـ بل وقد عرّف نفسه بكونه مبيّناً لكلّ شيء، حيث قال: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[۱۱۷] ـ إلاّ أنّه لا وجود لجميع العلوم فی ظواهره ؛ لأنّ هذا الادّعاء مخالف للبداهة، كما إنّ الآية الشريفة فيها قيدٌ لبّيّ، وهو أنّ المراد من (كلّ شيء): كلّ ما له دخلٌ فی هداية الناس[۱۱۸] وعليه، فكما تقدّم لا يصحّ استخراج العلوم من القرآن ؛ لأ نّه قائم علي أساس (احتواء ظواهر القرآن علي جميع العلوم)، وهو أساسٌ باطل[۱۱۹].

د ـ العلاقة الإيجابيّة بين القرآن والعلم:

لقد دعا القرآن إلى طلب العلم مراراً وتكراراً، ومدح العلماء وأثنى عليهم[۱۲۰]. وكما تقدّم، فإنّه بيّن فی العديد من المواطن مسائل علميّة إعجازيّة أو غريبة. ولم يقف القرآن فی أيٍّ من آياته موقفاً عدائيّاً من العلم والعلماء الأبرار، بل كانت العلاقة بين القرآن والعلم ـ ولا تزال ـ علاقة بنّاءة وإيجابيّة علي الدوام، وما التفسير العلمی للقرآن إلاّ نوعٌ من التوضيح لهذا المبنى.

وقد ادّعي بعضٌ ـ أو توهّم ـ وجود بعض التعارضات الظاهريّة والابتدائيّة بين القرآن والعلم، إلاّ أنّ هذا التوهّم يزول بأدنى تأمّل أو تدقيق فی الآيات والعلوم، ويتّضح أن لا وجود لتعارضٍ ثابتٍ وحقيقیّ بين القرآن والعلم. وهذا الشيء يتّضح أيضاً من خلال التفسير العلمی.

هـ ـ هدف القرآن الأصلى هو هداية الناس إلى اللّه:

لقد ذكر القرآن مراراً أنّه جاء لهداية الناس[١٢١] وإخراجهم من الظلمات إلى النور[١٢٢]. وعليه، فإذا كانت هناك إشارات علميّة فى القرآن فهى إنّما تكون فى هذا الإطار، أى أنّ الإشارات العلميّة للقرآن تأتى أحياناً بوصفها آيات للّه[١٢٣]، وأحياناً تأتى كشواهد على المعاد[١٢٤]. إذن، لم يكن بيان المطالب العلميّة هو الغاية الأساسيّة للقرآن، وليس القرآن كتاباً فى علم الفلك أو الفيزياء أو غير ذلك.

معايير الفهم العلمى للقرآن:

هناك نوعان من الشروط والمعايير فى الأساليب التفسيريّة:

النوع ايوّل: الشروط والمعايير العامّة التى ينبغى مراعاتها فى جميع المناهج التفسيريّة.

والنوع الثانى: الشروط والمعايير الخاصّة التى ينبغى مراعاتها فى كلّ منهج تفسيرىٍّ خاصّ.

وهدفنا هنا هو بيان الشروط والمعايير من النوع الثانى، ولكنّنا نشير إلى النوع الأوّل أيضاً من باب التذكير.

أ ـ المعايير العامّة فى منهج تفسير القرآن:

وتشتمل هذه المعايير علي شرائط المفسّر والتفسير، والتى نلخّصها فى مجموعتين:

١ ـ أن يتمّ التفسير العلمى من قبل مفسّر تتوفّر فيه الشروط اللازمة، من قبيل الإحاطة بالأدب العربى، ومعرفة شأن النزول، والإحاطة بالسيرة النبويّة وحوادث صدر الإسلام فى حدود ما يرتبط بالآية مورد البحث، والإطّلاع علي علوم القرآن كالناسخ

والمنسوخ، ومراجعة الأحاديث وأصول الفقه، والتعرّف علي الرؤي الفلسفيّة والعلميّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة، وتجنّب كافّة أنواع الأحكام المسبقة والتطبيق والتحميل، والاطّلاع علي التفسير، وعدم تقليد المفسّرين[۱۲۵].

۲ ـ أن تراعي فيه معايير التفسير المعتبرة، من قبيل: اتّباع منهج التفسير الصحيح، عدم منافاة التفسير مع السنّة القطعيّة، تجنّب الأحكام المسبقة غير الضروريّة، عدم منافاة التفسير مع الآيات الاخري وحكم العقل القطعى، والاستفادة من المصادر الصحيحة فى التفسير. وهذه المعايير يجب مراعاتها فى التفسير العلمى أيضاً[۱۲۶].

۳ ـ تجنّب التفسير بالرأى أو الشذوذ بالرأى فى تفسير القرآن ؛ أى أنّه يجب علي المفسّر قبل البدء بعمليّة التفسير الرجوع إلى القرائن العقليّة والنقليّة، والقيام بالتفسير بعد أخذ تلك القرائن بنظر الاعتبار.

ب ـ المعايير الخاصّة لمنهج التفسير العلمى للقرآن:

۱ ـ أن يتمّ التفسير العلمى من خلال العلوم التجريبيّة القطعيّة.

وفى ما يتعلّق بهذا المورد، فقد بيّنّا المراد من قطعيّة العلوم التجريبيّة فى مبحث العلم، ونضيف هنا:

أوّلاً: إذا كانت العلوم التجريبيّة يقينيّة وقطعيّة، أمكن تفسير القرآن علي أساسها.

ثانياً: إذا كانت مطالب العلوم التجريبيّة ـ بوصفها نظريّات ـ مقبولة فى العلم، أمكن بيانها بصورةٍ احتماليّة، بأن يقال: ربما كانت الآية تشير إلى هذا المطلب العلمى، ولكن لا يمكن نسبة شيءٍ إلى القرآن بشكلٍ قاطع ؛ وذلك لأنّ هذه العلوم غير قطعيّة.

ثالثاً: إذا كانت مطالب العلوم التجريبيّة مجرّد فرضيّات احتماليّة فى العلم دون أن تحظي

بالقبول العامّ للمحافل العلميّة، ولم تصل إلى درجة قطعيّة، فلا يمكن تفسير القرآن بها[١٢٧] ؛ وذلك لكونها فى معرض التغيير، وترد عليها نفس الإشكالات التى أوردها مخالفو التفسير العلمى[١٢٨].

٢ ـ أن تكون دلالة ظاهر الآية القرآنيّة علي مطالب العلوم التجريبيّة المعنيّة واضحة، وأن لا يكون هناك تحميل علي الآية. أى لا بدّ فى التفسير العلمى من مراعاة التناسب بين ظاهر الآية والمسائل العلميّة المعنيّة، بحيث تنسجم معانى الألفاظ والجمل فى الآية مع المسائل العلميّة، ولا تكون هناك حاجة لتحميل الرأى علي الآية. وبعبارةٍ أخري: أن يكون التفسير العلمى بنحوٍ لا نضطرّ معه إلى التأويلات والتفسيرات المخالفة للظاهر[١٢٩].

٣ ـ الاستفادة من النوع الصحيح للتفسير العلمى، أى توظيف العلوم فى فهم وتبيين وتفسير القرآن، وتجنّب الأنواع غير الصحيحة، كاستخراج العلوم من القرآن، وتطبيق وتحميل النظريّات العلميّة علي القرآن.

تنويه: ذكر بعض العلماء معايير أخري للتفسير العلمى، منها:

أ ـ أن يكون تفسير الآيات مطابقاً لمعنى القرآن الترتيبى.

ب ـ أن لا يفسّر القرآن وفقاً للنظريّات العلميّة المتضادّة.

ج ـ أن يكون المفسّر بصدد إثبات الإشارات العلميّة فى القرآن من خلال النظريّات العلميّة.

د ـ أن يجعل الآيات القرآنيّة هى الأصل والمحور فى عمليّة التفسير، وليس المطالب العلميّة.

هـ ـ أن يلتزم المفسّر بالمعانى اللغويّة العربيّة للآيات.

و ـ أن لا يكون التفسير العلمى مخالفاً للأحكام الشرعيّة.

ز ـ أن يكون التفسير العلمى مطابقاً للآية دون زيادةٍ ولا نقصان.

ح ـ أن يراعى تناسب الآيات وتأليفها ووحدتها الموضوعيّة[۱۳۰].

طبعاً: إنّ بعض هذه المعايير ـ الثمانية ـ تعود بشكلٍ من الأشكال إلى أحد المعايير الثلاثة المتقدّمة، كما فى المعايير (أ، د، ز، ح)، حيث تعود إلى المعيار الثانى، وكما فى المعيار (ب) الذى يعود إلى المعيار الأوّل، وبعضها الآخر يعود إلى شروط التفسير العامّة، مثل المعيارين (هـ، و).

أمّا المعيار (ج)، فإن كان المراد من النظريّات العلميّة: الفرضيّات غير الثابتة، فهو ممّا لا يمكن القبول به. وإن كان المراد هو المطالب القطعيّة، فيمكن القبول به بعد إجراء بعض التغيير فى العبارة.

ميزات التفسير العلمى للقرآن:

۱ ـ يحتوى القرآن الكريم علي ما يقارب ۱۳۳۲ آية تشير إلى مطالب علميّة[۱۳۱]، ويؤدّى استخدام العلوم فى تفسير القرآن إلى تبيين الإشارات العلميّة للقرآن، ويساعدنا علي تفسير الآيات وتبيينها وفهمها بشكلٍ أفضل؛ فمثلاً حينما يتحدّث القرآن عن أضرار الخمر ومنافعها فى قوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[۱۳۲]، فإنّ المعطيات الطبّيّة توضح هذه الآية وتبيّن مراد اللّه من المنافع والمضارّ، وتضع بأيدينا تفسيراً واضحاً عن الآية.

وفى بعض الأحيان يكون تفسير الآيات القرآنيّة من دون الاستعانة بالعلوم الحديثة فى غاية التعقيد؛ فمثلاً: عند تفسير الآيات ۱۲ ـ ۱۴ من سورة (المؤمنون) والآية ۵ من سورة

الحجّ، نحتاج بصورة ماسّة إلى الاستفادة من العلوم الطبّيّة. وكما نستفيد من علم اللغة لفهم الألفاظ، كذلك نستفيد من علم الأجنّة لفهم مراحل خلق الإنسان.

٢ ـ يمكن للتفسير العلمى للقرآن أحياناً أن يثبت الإعجاز العلمى للقرآن[١٣٣]، أى أنّ القرآن الكريم قد بيّن قبل أربعة عشر قرناً مطلباً لم يكن مكتشفاً للناس فى تلك الأزمنة، وقد كان الناس عاجزين عن الإتيان بمثله، وقد اتّضح حاليّاً بعد قرون بشكلٍ قاطع، وذلك من خلال اكتشافه بواسطة العلوم التجريبيّة.

يستفاد من ذلك أنّ القرآن معجزة إلهيّة ولا يمكن أن يكون من صنع البشر.

وقد استُدِلّ للإعجاز العلمى فى القرآن بالآيات التى تتحدّث عن قانون الزوجيّة العامّ الذى يحكم الموجودات (زوجيّة النباتات)[١٣٤]، وقانون الجاذبيّة[١٣٥]، وحركة الشمس[١٣٦]، وفلسفة تحريم الخمر[١٣٧]، ومراحل خلق الإنسان[١٣٨]، وتلقيح السحب والنباتات[١٣٩]، وما إلى ذلك[١٤٠].

ذهب روترود فيلاند فى هذا الشأن إلى أنّ أنصار التفسير العلمى بصدد إثبات أنّ القرآن متقدّم علي علماء الغرب بقرون ؛ لكونه يذكر أموراً لم يكتشفها علماء الغرب إلاّ بعد مضىّ عدّة قرون، وأكثر المعجبين بالتفسير العلمى يتمسّكون بهذا التقدّم الزمانى للقرآن فى مجال المعرفة العلميّة بوصفه نموذجاً بارزاً لإعجاز القرآن، وهم يؤكّدون دائماً فى مناقشاتهم وأدلّتهم العلميّة أمام الغرب علي هذا البعد الإعجازى وعدم إمكان تقليد القرآن[١٤١].

٣ ـ إنّ التفسير العلمى للقرآن يساهم فى تعزيز إيمان المسلمين، وإقبال غير المسلمين علي القرآن والإسلام. أى: حينما يثبت أنّ فى القرآن إشارات علميّة قد بيّنها قبل اكتشاف العلوم التجريبيّة لها بمئات السنين، يزداد إيمان الناس ـ وخاصّة الشباب منهم ـ بصدق

القرآن، كما يذعن المخالفون عندها أمام القرآن ويعترفون بعظمته.

ومن هنا نجد بعض علماء الغرب ـ مثل (موريس بوكاى) فى كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث) ـ قد أجري دراسة حول المطالب العلميّة فى القرآن والتوراة والإنجيل، واعترف فى مواضع كثيرة بأنّ التوراة والإنجيل تخالفان معطيات العلوم التجريبيّة، فى حين لا يوجد فى القرآن ما يخالف هذه المعطيات، بل إنّه أثبت إعجازه فى هذا الخصوص[١٤٢].

٤ ـ التنظير العلمى فى القرآن؛ إذ كما سبق أن أشرنا، فإنّ إحدي ثمار الاستفادة العلميّة من القرآن هى ظهور نظريّات جديدة فى ميادين العلوم الطبيعيّة، مثل وجود الكائنات الحيّة فى السماوات[١٤٣]، وفى حقل العلوم الإنسانيّة، مثل نظريّة الاقتصاد اللاربوى.

٥ ـ توجيه العلوم الإنسانيّة؛ إذ كما سبق أن أشرنا أيضاً، فإنّ إحدي ثمار الاستفادة العلميّة من القرآن هو ظهور الأسس الجديدة فى العلوم الإنسانيّة التى أسهمت فى التوجيه الحديث لهذه العلوم.

فمن باب المثال: إنّ مراعاة مبدأ محوريّة العدالة فى الاقتصاد، والاهتمام بمبدأ مكافحة الفقر فى الاقتصاد والإدارة، ورعاية الأخلاق الإسلاميّة فى الإدارة، وكذلك الالتفات إلى وجود بعدين فى شخصيّة الإنسان ـ الروح والجسد ـ فى علم النفس، ومع الالتفات إلى محوريّة اللّه ـ بدلاً من محوريّة الإنسان ـ فى العلوم الإنسانيّة، يمكن إيجاد أسس جديدة لهذه العلوم، وهدايتها إلى وجهةٍ جديدة، بحيث تظهر علوم إنسانيّة جديدة فى العالم.

مخاطر الاستفادة العلميّة من القرآن الكريم:

١ ـ إنّ العلوم التجريبيّة غير قطعيّة فى غالبها، وإنّ نظريّاتها متزلزلة وخاضعة للتغيّر

بمرور الزمن؛ فلو فسّرنا القرآن فى ضوئها، فإنّ الناس سينظرون إلى القرآن بعد تغيّر تلك النظريّات بعين الشكّ والريبة، ويتزلزل إيمانهم.

فمثلاً: عمد البعض إلى تفسير القرآن انطلاقاً من هيئة بطليموس، فطبّق الأفلاك التسعة علي آيات القرآن، ثمّ بعد مضىّ قرون ثبت بطلان هذه النظريّة، ممّا أدّي إلى تصوّر البعض أنّ علم الهيئة الحديث المستند إلى آراء (كوبرنيكوس) يتعارض مع القرآن الكريم ويخالفه[١٤٤].

٢ ـ إنّ التفسير العلمى ينسحب فى الكثير من الموارد إلى التفسير بالرأى، والذين هم بصدد التفسير العلمى للقرآن يسقطون فى شباك هذه المسألة للأسباب الآتية:

أ ـ من يفتقر بعض الأشخاص إلى التخصّص الكافى فى القرآن وتعوزه الكفاءة اللازمة فى تفسيره، وعلي الرغم من ذلك يقوم بتفسير القرآن علميّاً، وهذا من موارد السقوط فى مزالق التفسير بالرأى.

ب ـ من المحتمل أن يحاول بعض المغرضين إساءة الاستفادة من الآيات الناظرة إلى العلوم المختلفة لإثبات نظريّاته التى قد تكون منحرفة أو حتّي إلحاديّة أحياناً، إلاّ أنّه يسعي إلى تمويه ذلك من خلال الاستفادة من التفسير العلمى، الأمر الذى قد يؤدّى إلى تحميل الآراء علي القرآن، وهو من المصاديق البارزة للتفسير بالرأى.

فمثلاً: هناك من يحاول ربط الحقائق الغيبيّة وما وراء الطبيعة فى القرآن بالأمور المحسوسة، ويذهب إلى حدّ القول بأنّ مراد القرآن من الملائكة عبارة عن الميكروبات التى تودّى بأرواح الناس[١٤٥]. أو فى موضعٍ آخر عندما يحمل قابيل وهابيل علي مرحلتين من المجتمع اللاطبقى والمجتمع الإقطاعى، وذلك بهدف تطبيقها علي مراحل تطوّر المجتمعات حسب المذهب الماركسى[١٤٦].

ج ـ هناك من يسعي إلى استخراج جميع العلوم من القرآن كما تقدّم ذلك عـن الغـزالى. وفى سبيل ذلك يطبّق كلّ مطلب علمى علي القرآن، بل وقـد يحملونـه عليـه أحيانـاً، ممّـا يؤدّى إلى التفسير بالرأى، وهو ما سبق أن بيّنّا ضعف ما يستند إليه.

٣ ـ قد ينتهى التفسير العلمى للقرآن إلى التأويل غير الجائز، كما يحصل حينمـا يجـنح بعض الأفراد فى التفسير العلمى للقرآن إلى تجاوز حدود ظواهر ألفاظ الآيات، ويعمـد إلى تأويل كلّ آيةٍ من الآيات التى تتعارض أو تتنافى مـع قـانون أو نظريّـة علميّـة يعتقـدها، ليتمكّن من نسبة تلك النظريّة إلى القرآن الكريم[١٤٧]. وبعبارةٍ أخري: يحمّل النظريّـة غـير الثابتة علميّاً علي القرآن، وهو نوعٌ من التفسير بالرأى.

وهناك نموذجٌ طريفٌ لهذا النوع من التأويلات ظهر فى ما يخصّ نظريّـة تطـوّر الأنـواع لداروين؛ فقد صنّف بعضهم كتاباً ـ بعد أن أخذ نظريّة التطوّر أمراً مفروغاً عنه ـ عمد فيـه؛ إلى الاستشهاد بكلّ آيةٍ توافق نظريّة التطوّر، وبادر إلى تأويل الآيات المخالفـة وتقريبـها من هذه النظريّة، وإن كان التقريب بصورةٍ تتعارض مع ظواهرها. كما بادر شـخصٌ آخـر إلى تأليف كتابٍ آخرَ انطلاقاً من إيمانه ببطلان نظريّة التطوّر ؛ فاستشهد بالآيات المخالفـة لها، وعمد إلى تأويل ما يوافقها من الآيات[١٤٨]، وكلاهمـا ينـسب رأيـه إلى القـرآن، بـل ويصرّ علي ذلك أحياناً.

ويمكن ملاحظة مثال آخر علي ذلك فى بحث (العرش) و (الكرسى) وتأويلـهما بالفلـك الثامن والتاسع. وهكذا الأمر بالنسبة إلى تأويل قصّة إبراهيم (ع)، وحياة المجتمعات وموتها فى تفسير (المنار)[١٤٩]، وربما كان هذا التحميل علي الآيات أو تأويلـها هـو مـراد العلاّمـة الطباطبائى من تسمية هذا النوع من التفسير باسم (التطبيق)[١٥٠].

٤ ـ إنّ التفسير العلمى للقرآن وتحشيد المطالب العلميّـة الكـثيرة فى تـضاعيف تفـسير

القرآن تؤدّى إلى نسيان الغاية والهدف الرئيس من نزول القرآن، ألا وهو تربية الإنسان وتزكيته وهدايته، كما صنع ذلك عدد من المفسّرين المعاصرين، كالطنطاوى مثلاً. وعليه: من الأفضل تجنّب التفسير العلمى للقرآن، والاكتفاء بما يتّصل بالمقاصد الأساسيّة من التفسير.

وبعبارةٍ أخري: إنّ التفسير العلمى يؤدّى إلى سوء فهم ذات القرآن ووظيفته الأساسيّة ؛ إذ من خلال بيان المطالب العلميّة للقرآن يتمّ أحياناً نسيان الهدف الأصلى منه، والذى يتمثّل فى هداية الإنسان وتربيته، بل قد يذهب البعض إلى التصوّر بأنّ القرآن إنّما أنزل فقط لبيان المطالب العلميّة[١٥١].

٥ ـ إنّ التفسير العلمى يؤدّى إلى مجازيّة الحقائق العلميّة فى القرآن والإضرار ببلاغته، أى أنّه سيفقد معناه الأصلى، ولا يفسّر فى ضوء معناه وفقاً للغة العربيّة فى صدر الإسلام. وعليه، فلا يصحّ التفسير العلمى.

وقد ذكر الدكتور الذهبى فى هذا الشأن أنّه لا يعقل التفسير العلمى من الناحية اللغويّة ؛ وذلك لأنّ الألفاظ تتغيّر معانيها عبر القرون والأعصار، وتكتسب معانى لغويّة واصطلاحيّة وشرعيّة أخري. والكثير من هذه المعانى مستحدث لا وجود له فى صدر الإسلام، فلا يعقل أن يكون مراد اللّه تعالى من ألفاظ القرآن تلك المعانى التى تظهر فى زمن متأخّر، فهذا ما لا يقبله ذو مسكةٍ إلاّ إذا تجرّد من عقله[١٥٢].

أجل، لو قبلنا التفسير العلمى، فإنّنا سنضرّ ببلاغة القرآن ؛ لأنّ البلاغة عبارة عن مطابقة الكلام لمقتضي الحال. فى حين ـ وطبقاً للتفسير العلمى ـ لا بدّ من القول بأنّ اللّه تعالى قد أراد من ألفاظ القرآن معانى ومفاهيم لم يكن للعرب علمٌ بها، وهذا يؤدّى إلى سلب واحدةٍ من خصائص القرآن المهمّة، ألا وهى البلاغة ومراعاة حال المخاطَب[١٥٣].

طبعاً ـ وكما تقدّم في بيان آراء الموافقين والقائلين بالتفصيل العلمي ـ فإنّ من الممكن الحيلولة دون هذه الأضرار ؛ لأنّ أكثر الإشكالات إنّما ترد علي نوعين من التفسير، هما: استخراج العلوم من القرآن، وتحميل النظريّات العلميّة علي القرآن. وعليه: لو استفاد مفسّر القرآن من العلوم التجريبيّة القطعيّة، وعمل علي توظيفها في فهم القرآن، لارتفعت أكثر الإشكالات والمخاطر المتقدّمة. وكما تقدّم، فإنّ للتفسير العلمي أسساً ومعايير ينبغي لمفسّر القرآن مراعاتها، والتي لو تمّ التفسير العلمي في ضوئها لارتفع قسمٌ كبير من تلك المخاطر.

وبعبارةٍ أخري: إنّ الاستفادة من العلوم التجريبيّة القطعيّة ترفع الخطر الأوّل. والتفسير العلمي الذي يمارسه المفسّر الذي تتوفّر فيه الشروط، وتوظيف النوع الصحيح للتفسير العلمي يرفع الخطرين الثاني والثالث. ورعاية الاعتدال في الاستفادة من أساليب التفسير العلمي، يرفع الخطر الرابع.

كما انّ سوء الاستفادة من المناهج التفسيريّة أو إفراط وتفريط بعض المفسّرين باستخدام منهج تفسيريٍّ خاصّ، لايختصّ بالتفسير العلمي، بل يوجد هذا الخطر إلى حدٍّ ما في سائر المناهج التفسيريّة، وبمراعاة الاعتدال وضوابط التفسير والمفسّر سيرتفع الإشكال كلّيّاً أو ينخفض إلى الحدّ الأدنى.

وعلي كلّ حال، فإنّ التفسير العلمي لا ينافي بلاغة القرآن، ولا يؤدّي إلى مجازيّته ؛ وذلك لأنّ القرآن لم ينزل لفئةٍ خاصّة من الناس أو عصرٍ خاصّ، ولأنّ ألفاظ القرآن ومفاهيمه تحظي بمصاديق جديدة في كلّ عصر، مثل كلمة (عمد) في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [١٥٤] التي تعني الأعمدة، ولكن بمرور الزمان صار لها مصاديق عديدة، مثل: عمود الخيمة، ثمّ الأعمدة الحديديّة، ثمّ القوي المشابهة للعمود، كقوّة الجاذبيّة وعليه، فإنّ اكتشاف مصاديق جديدة للآيات وتقديم تفسيرات جديدة دليلٌ علي

عظمة القرآن ومنتهي بلاغته التى لا تخضع لحصار الزمن. وقد يحاول البعض أن يحمّل القرآن أمراً علي خلاف معناه اللغوى، وهذا منافٍ للّغة والبلاغة.

خلاصة البحث:

اتّضح ممّا تقدّم: أنّ التفسير العلمى هو أحد المناهج التفسيريّة للقرآن، وأنّ الاستفادة منه ضروريّة لفهم وتفسير الآيات العلميّة للقرآن. وأنّ لهذا المنهج التفسيرى أنواعاً متعدّدة، وأنّ منها ما ليس صحيحاً، كاستخراج العلوم من القرآن، وتحميل النظريّات العلميّة علي القرآن ؛ لإفضائه إلى التفسير بالرأى، بينما يعتبر توظيف العلوم فى فهم القرآن وتفسيره أمراً صحيحاً.

واتّضح أيضاً أنّ للتفسير العلمى امتيازات خاصّة، من قبيل: الفهم الأفضل لآيات القرآن العلميّة، وإثبات الإعجاز العلمى للقرآن.

وفى المقابل تكتنفه بعض المخاطر أيضاً، ولكن يمكن الحيلولة دون أغلب هذه المخاطر من خلال مراعاة المعايير، والاستفادة من النوع الصحيح للتفسير العلمى، أى توظيف العلوم التجريبيّة القطعيّة فى فهم القرآن.

الهوامش:

(۱) راجع: معجم مفردات ألفاظ القرآن: مادّة فسر ؛ وتاج العروس: مادّة (فسر) ؛ والميزان فى تفسير القرآن ۱: ۴ ؛ والإتقان فى علوم القرآن ۲: ۱۹۲ ؛ ومجمع البيان فى تفسير القرآن ۱: ۱۳ ؛ و...

(۲) Experimental Sciences.

(۳) Natural Sciences.

(۴) Humanities.

(۵) مناهج التجديد: ۲۸۷. كما ورد هذا التعريف فى كتاب: المفسّرون حياتهم ومناهجهم: ۹۳.

(۶) Rotraud Wielandt, Exegesis of the Quran: Early Modern and Contemporary. In Encyclopadia of the Quran V: ۲, PP. ۱۲۴ _ ۱۴۱.

(۷) أصول التفسير وقواعده: ۲۱۷.

(۸) اتّجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر ۲: ۵۴۹.

(۹) تفسير علمي قرآن ۱: ۱۴۰.

(۱۰) للتوضيح أكثر راجع: درآمدي بر تفسير علمي قرآن: ۲۷۴ و ۳۷۸.

(۱۱) كان عدد من يعرف القراءة والكتابة سبعة عشر رجلاً ونزرٌ قليل من النسوة (فتوح البلدان ۳: ۵۸۰).

(۱۲) سورة البقرة ۲: الآية ۲۳.

(۱۳) سورة الرعد۱۳: الآية ۲. وما بعدها ؛ سورة يس ۳۶: الآية ۳۸ وما بعدها.

(۱۴) تاريخ التمدّن الإسلامى ۲: ۱۵۳.

(۱۵) سورة البقرة ۲: الآية ۲۹.

(۱۶) ومن المعلوم أنّ المسائل العلميّة فى تفسير آيات القرآن كانت قد وردت فى بعض روايات أهل البيت ؛ فمن باب المثال ما يتعلّق بالعدد ثلاثمائة وستّين للمشارق والمغارب فى الآية ۴۰ من سورة المعارج (معانى الأخبار: ۲۲۱)، وأسماء الكواكب فى تفسير الآيتين ۱۵ و ۱۶ من سورة التكوير (مجمع البيان ۱: ۶۷۷) ، و... ممّا يعدّ من الموارد التفسيريّة لأهل البيت ؛ ولكنّه لا يعتبر تفسيراً علميّاً بالمعنى المصطلح ؛ لأنّه لم يستخدم المعطيات العلميّة فى تفسير القرآن ، وإنّما قام أهل البيت : ببيان الأسرار العلميّة للآيات من خلال علم الإمامة ، فيدخل فى التفسير الروائى.

(۱۷) أُنظر: بحث تاريخ التفسير العلمى الذى سيأتى فى هذا المقال لاحقاً.

(۱۸) أُنظر: بحث تاريخ التفسير العلمى الذى سيأتى فى هذا المقال لاحقاً.

(١٩) يشير السيّد روترود فيلانت فى مقاله تفسير القرآن فى المرحلة الجديدة والمعاصرة إلى نماذج من هذه الموارد فى تفاسير السيّد أحمد خان الهندى التى أدّت إلى تأويل وإنكار بعض المعاجز، كمعراج القيامة، وتفسير الجنّ بسكّان الغابات البدائيّين (دائرة المعارف القرآنيّة، ليدن)، وتفسير محمّد عبده للجنّ بالميكروبات (تفسير جزء عمّ: ١٥٨).

(٢٠) أُنظر: الميزان فى تفسير القرآن ١: ٧ ـ ٨.

(٢١) سورة الحاقّة: ١٧.

(٢٢) أُنظر: رسائل ابن سينا: ١٢٤ ـ ١٢٥؛ التفسير والمفسّرون ٢: ٤٢٦.

(٢٣) إحياء علوم الدين ١: ٢٨٩، الباب الرابع من أبواب آداب تلاوة القرآن.

(٢٤) جواهر القرآن: ٢٥، الفصل الخامس.

(٢٥) سورة البقرة: ٢٢.

(٢٦) مفاتيح الغيب ٢: ٩٤.

(٢٧) سورة البقرة: ١٦٤.

(٢٨) أُنظر: التفسير والمفسّرون ٢: ٤٧٨ ـ ٤٨٢؛ التفسير العلمى فى الميزان: ١٥٩.

(٢٩) سورة مريم ١٩: الآيات ٣٠ ـ ٣٣.

(٣٠) البرهان فى علوم القرآن ٢: ١٨١.

(٣١) سورة المنافقون ٦٣: الآية ١١.

(٣٢) أُنظر: الإتقان فى علوم القرآن ٢: ٢٧١ ـ ٢٨٢؛ الإكليل فى استنباط التنزيل: ٢.

(٣٣) سورة البقرة ٢: الآية ٢٩.

(٣٤) بحار الأنوار ٥٧: ٥.

(٣٥) تفسير القرآن الكريم ٢: ٢٨٩ ـ ٢٩٣.

(٣٦) شرح المنظومة: ٢٦٩، قسم الفلسفة.

(٣٧) طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد: ٤٣ ـ ٤٦.

(٣٨) تفسير و تفاسير جديد: ٥٩ ـ ٧١؛ تاريخ نهضت‌هاي ديني اسلامي معاصر: ١٤٣ ـ ١٤٦.

(٣٩) سورة البقرة ٢: الآيات ٦٧ ـ ٧٢.

(٤٠) الجواهر فى تفسير القرآن ١: ٨٤ ـ ٨٩.

(٤١) سورة الزخرف ٤٣: الآية ١٠.

(٤٢) اسلام و هيئت: ١١٠.

(٤٣) لقد بحثنا ادّعاءات الإعجاز العلمى فى حوالى ثلاثمائة آية من القرآن فى كتاب: پژوهشي در اعجاز علمي قرآن (بالفارسية)، والذى طبع فى مجلّدين، وقبلنا منها ستّة موارد فقط، ورفضنا الموارد الباقية.

(۴۴) وقد تقدّمت أمثلة ونماذج منهم.
(۴۵) سورة النحل ۱۶: الآية ۸۹.
(۴۶) وقد تقدّم الكلام عنهم.
(۴۷) سورة الأعراف: ۱۸۹.
(۴۸) القرآن والعلم الحديث: ۱۵۶.
(۴۹) المنار ۲: ۴۵۸.
(۵۰) المصدر السابق ۱: ۵۵.
(۵۱) تقدّم كلامه فی تعريف التفسير العلمی. اُنظر: الميزان فی تفسير القرآن ۱: ۷.
(۵۲) التفسير والمفسّرون ۲: ۴۵۸ ، نقلاً باختصار عن: الموافقات ۲: ۶۹ ـ ۷۶.
(۵۳) المصدر السابق: ۴۸۸ ، باختصار.
(۵۴) سورة النحل ۱۶: الآية ۸۹.
(۵۵) سورة الأنعام ۶: الآية ۳۸.
(۵۶) المصدر السابق: ۴۸۹.
(۵۷) مجلّة الرسالة، العددان ۴۰۷ و ۴۰۸ لعام ۱۹۴۱ م، نقلاً عن: التفسير العلمی فی الميزان: ۲۹۹ ـ ۳۰۲.
(۵۸) التفسير والمفسّرون ۲: ۴۹۱ ـ ۴۹۴.
(۵۹) التفسير العلمی فی الميزان: ۲۹۷ وما بعدها.
(۶۰) فی ظلال القرآن ۱: ۱۸۲.
(۶۱) سورة المؤمنون۲۳: الآية ۱۲.
(۶۲) سورة الفرقان۲۵: الآية ۲.
(۶۳) راجع: فی ظلال القرآن ۱: ۲۶۱ ـ ۲۶۳.
(۶۴) الإسلام والطبّ الحديث ، مقدّمة الشيخ المراغی: ۵ ، نقلاً عن كتاب: التفسير والمفسّرون ۲: ۵۱۹.
(۶۵) سورة لقمان۳۱: الآية ۱۰.
(۶۶) الدروس الدينيّة: ۶۱ ـ ۶۴ ، نقلاً عن: التفسير العلمی فی الميزان: ۲۳۱.
(۶۷) التفسير العلمی فی الميزان: ۱۱۳.
(۶۸) المصدر السابق: ۱۱۸.
(۶۹) الميزان فی تفسير القرآن ۱: ۷ ـ ۸.
(۷۰) سورة الأنبياء ۲۱: الآية ۳۰.
(۷۱) الميزان فی تفسير القرآن ۱۴: ۲۷۹.
(۷۲) سورة الذاريات ۵۱: الآية ۴۷.

(٧٣) الميزان فى تفسير القرآن ١٨: ٣٨٢.

(٧٤) تفسير نمونه ١: ١٣١ ؛ ١١: ٤١٠ ؛ ١٢: ٢٧٥ ؛ ١٥: ٥٦٨.

(٧٥) تفسير به رأي: ٦٩ ـ ٧٩.

(٧٦) مجلّة پيام قرآن ، العدد التجريبى ، الصفحة ٤٨.

(٧٧) التمهيد ٦: ٣١ وما بعدها.

(٧٨) درآمدي بر تفسير علمي قرآن: ٣٤٠.

(٧٩) تفسير صحيح آيات مشكله قرآن: ٣١٥.

(٨٠) برهان رسالت: ٢٥٣ ـ ٢٨٣.

(٨١) تقدّم استعراض آراء هذه المجموعة تحت عنوان السوابق والآراء وأهمّ المؤلّفات... فى هذا المقال.

(٨٢) جواهر القرآن: ٢٧ ، الفصل الخامس.

(٨٣) سورة الشعراء: الآية ٨٠.

(٨٤) التفسير والمفسّرون ٢: ٤٨١ ، نقلاً عن ابن أبى الفضل المرسى.

(٨٥) سورة الزلزال: الآية ١.

(٨٦) البرهان فى علوم القرآن ٢: ١٨١ ـ ١٨٢.

(٨٧) راجع: التفسير والمفسّرون ٣: ٤٥٤ ـ ٤٩٥.

(٨٨) القرآن والعلم الحديث: ١٥٦.

(٨٩) راجع: مقدّمة الميزان فى تفسير القرآن ١: ٦ وما بعدها.

(٩٠) سورة يس ٣٦: الآية ٣٨.

(٩١) فيزيك نوين: ٤٥ ـ ٤٨.

(٩٢) المصدر نفسه.

(٩٣) للاطّلاع علي المزيد من الأمثلة، راجع: پژوهشي در اعجاز علمي قرآن، و(درآمدي بر تفسير علمي قرآن).

(٩٤) سورة الشوري ٤٢: الآية ٢٩.

(٩٥) راجع: ذيل الآية التاسعة والعشرين من سورة الشوري فى تفاسير القرآن الكريم ، كتفسير نمونه ، والجواهر ، وقرآن وعلم امروز.

(٩٦) سورة الذاريات ٥١: الآية ٤٧.

(٩٧) أُنظر: تاريخچه زمان: ٥٨.

(٩٨) أُنظر: پژوهشي در اعجاز علمي قرآن ١: ١٤٢ وما بعدها.

(٩٩) أُنظر: رازهاي آسمان‌هاي هفت‌گانه، هفت آسمان، وپژوهشي در اعجاز علمي قرآن ١: ١٢٦ وما بعدها.

(١٠٠) أُنظر فى مجال الدفاع عن نظريّة التطوّر كتاب: خلقت انسان ، وفى الردّ عليها كتاب: (نظريّه تكامل از ديدگاه قرآن).

(١٠١) أُنظر: تكامل در قرآن ؛ (پژوهشي در اعجاز علمي قرآن) الجزء الثانى ؛ و...

(١٠٢) سورة البقرة ٢: الآية ١٥٦

(١٠٣) سورة البقرة ٢: الآية ١٣٨.

(١٠٤) فى هذه المجالات أُنظر: قرآن و روان‌شناسي، مبانى اقتصاد اسلامي، نظام سياسي اسلام، مديريت اسلامي و...

(١٠٥) وردت عدّة إشكالات علي طريقة الاستقراء الناقص فى العلوم ، وهناك ردودٌ علي هذه الإشكالات أيضاً. أُنظر: مبانى فلسفه: ٢١٠ ـ ٢٤٤ ؛ علم و دين: ٣ و ٢١٣ ـ ٢١٤ ؛ الأسس المنطقيّة للاستقراء: ١٣٥ و ٣٨٣ ـ ٤٠٠ ؛ درآمدي بر تفسير علمي قرآن: ١٨٥ ـ ٢٠٠.

(١٠٦) وهذه هى رؤية بوبر (ت ١٣٧٠ ش). أُنظر: حدس‌ها و ابطال‌ها و منطق اكتشافات ؛ درآمدي بر تفسير علمي قرآن: ٢٠٠ ـ ٢٠٤.

(١٠٧) كنظريّة بَطْلَيمْوس (Ptolemy ـ القرن الثانى للميلاد) التى تقول بأنّ الأرض ثابتة فى مركز الكون، وأنّ الشمس والنجوم تدور حولها فى سبعة أفلاك. وقد ألقت هذه النظريّة بظلالها علي العقل البشرى قرابة أربعة عشر قرناً ، حتّي تمّ دحضها من قبل كوبلر وكوبرنيكوس وغاليلو ، وحلّت محلّها النظريّة الحاليّة ، أى حركة الأرض حول الشمس.

(١٠٨) العلوم فى القرآن: ٣٥ ـ ٣٦.

(١٠٩) أُنظر: الآية ١٧ من سورة الغاشية ، والآيات ٥ ـ ١٤ من سورة النحل ، وغيرها.

(١١٠) الآية ٨٩ من سورة النحل.

(١١١) حيث كان فيثاغورس أوّل من اعتقد بحركة الأرض، ثمّ تبعه أرخميدس وغيره. راجع: اسلام وهيئت: ٤٤.

(١١٢) الآية ٣٦ من سورة يس.

(١١٣) الآية ٢ من سورة الرعد ، والآية ١٠ من سورة لقمان.

(١١٤) الآية ٣٨ من سورة يس.

(١١٥) الآية ٥ من سورة الحجّ ، والآيات ١٢ ـ ١٤ من سورة المؤمنون.

(١١٦) الآية ٢٢ من سورة الحجر.

(١١٧) سورة النحل ١٦: الآية ٨٩.

(١١٨) صرّح بعض المفسّرين بأنّ المراد من الآية ٨٩ من سورة النحل هو بيان مسائل الهداية ، ومن تلك التفاسير: الميزان فى تفسير القرآن ١٤: ٣٢٥ ؛ مجمع البيان فى تفسير القرآن ٤: ٢٩٨ ؛ الكشّاف ٢: ٢١ و ٣١.

(١١٩) سنذكر ما يكمل توضيح هذا الأمر فى البحوث التالية من هذه المقالة.

(١٢٠) الآية ٩ من سورة الزمر ، والآية ٢٨ من سورة فاطر ، والآية ١١ من سورة المجادلة ، وغيرها.

(١٢١) راجع: الآيات ٢ ، ٩٧ و ١٨٥ من سورة البقرة ، والآية ١٣٨ من سورة آل عمران ، والآية ٢٠٣ من سورة الأعراف ، والآية ٥٧ من سورة يونس ، وغيرها.

(١٢٢) الآية ١ من سورة إبراهيم.

(١٢٣) أُنظر: الآيات ٢ ـ ٤ من سورة الرعد.

(١٢٤) أُنظر: الآية ٥ من سورة الحجّ.

(١٢٥) راجع: الإتقان فى علوم القرآن ۴: ١٧٨ ـ ١٨١ ؛ درآمدي بر تفسير علمي قرآن: ٥٣ ـ ٧۴.

(١٢٦) المصدر السابق.

(١٢٧) هناك عدّة احتمالات فى القضايا العلميّة:

أ ـ القضيّة اليقينيّة المطابقة للواقع ؛ لاعتمادها علي تجربة علميّة مدعومة بالدليل العقلى ، شريطة أن تكون قد بلغت مرحلة البداهة.

ب ـ القضيّة العلميّة اليقينيّة بالمعنى الأعمّ ، والتى نحصل من خلالها علي الاطمئنان ، دون أن يبلغ احتمال الخلاف درجة الصفر ، كما هو حال أكثر القضايا الثابتة بواسطة العلوم التجريبيّة.

ج ـ القضيّة العلميّة النظريّة والظنّيّة ، التى لم تثبت بعد.

وعليه نقول:

فى الصورة الأولى (أ) يجوز التفسير العلمى ؛ لعدم التعارض بين القرآن والعلم القطعى المستند إلى القطع العقلى ، بل لا بدّ لتفسير القرآن من القرائن القطعيّة النقليّة والعقليّة والعلميّة.

وفى الصورة الثانية (ب): لو ذكر التفسير العلمى كاحتمال فلا تبعد صحّته ، كأن يقال مثلاً: بما أنّ ظاهر القرآن يطابق حركة الشمس الانتقاليّة ، فيحتمل قويّاً إرادة القرآن لهذه الحركة.

وفى الصورة الثالثة (ج) لا يصحّ التفسير العلمى ؛ وذلك لكونه يستلزم نفس الإشكالات التى أوردها المخالفون للتفسير العلمى ، كانطباق القرآن علي العلوم المتغيّرة ، وتشكيك الناس فى صحّة القرآن ، وما إلى ذلك.

(١٢٨) ذكر سماحة آية اللّه الشيخ ناصر مكارم الشيرازى مضمون هذا المعيار فى كتابه: قرآن و آخرين پيامبر: ١۴٧ ، كما ورد فى كلمات الكثير من مؤيّدى التفسير العلمى.

(١٢٩) المصدر السابق ، وكذلك أصول التفسير وقواعده: ٢٢۴ ، ومبانى و روش تفسير قرآن: ٢٥۶.

(١٣٠) أصول التفسير وقواعده: ٢٢۴.

(١٣١) العلوم فى القرآن: ٣٥ و ٣۶.

(١٣٢) سورة البقرة ٢: الآية ٢١٩.

(١٣٣) أُنظر: التفسير والمفسّرون فى ثوبه القشيب ٢: ۴۴٣.

(۱۳۴) الآية ۳۶ من سورة يس.

(۱۳۵) الآية ۲ من سورة الرعد ، والآية ۱۰ من سورة لقمان.

(۱۳۶) الآية ۳۸ من سورة يس.

(۱۳۷) الآية ۲۱۹ من سورة البقرة.

(۱۳۸) الآية ۵ من سورة الحجّ ، والآيات ۱۲ ـ ۱۴ من سورة المؤمنون.

(۱۳۹) الآية ۲۲ من سورة الحجر.

(۱۴۰) أُنظر: پژوهشي در اعجاز علمي قرآن لكاتب المقال.

(۱۴۱) مقالة روترود فيلانت بعنوان (تفسير القرآن فى المرحلة الحديثة والمعاصرة) ، دائرة المعارف القرآنيّة ـ ليدن.

(۱۴۲) The Bible, The Quran and The Science، تأليف Maurice Bucaille.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربيّة والفارسيّة عدّة مرّات ، وعناوين ترجمته بالعربيّة والفارسيّة علي النحو التالى:

ـ التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث ؛ (دراسة الكتب المدرسيّة فى ضوء المعارف الحديثة).

ـ (عهدين ، قرآن و علم) ، ترجمة حسن حبيبي ، انتشارات سلمان ، عام ۱۳۵۷ ؛ (مقايسه‌اي ميان تورات ، انجيل وقرآن وعلم) ، ترجمة ذبيح اللّه دبير ، انتشارات فرهنكى وإسلامى ، ۱۳۶۵.

(۱۴۳) الآية ۲۹ من سورة الشوري.

(۱۴۴) التفسير والمفسّرون ۲: ۴۹۱ ـ ۴۹۴.

(۱۴۵) دروس سنن الكائنات: ۴۵۱ ؛ نقلاً عن التفسير العلمى فى الميزان: ۲۲۸.

(۱۴۶) تفسير به رأي: ۷۸.

(۱۴۷) وطبعاً فإنّ هذا النوع من التأويل غير جائز ، إنّما هو تحميلٌ علي القرآن وتفسيرٌ بالرأى.

(۱۴۸) للاطّلاع أكثر راجع: نظريه‌ي تكامل از ديدگاه قرآن، و(تكامل در قرآن)، و(خلقت انسان در بيان قرآن)

(۱۴۹) راجع آراء ابن سينا والعلاّمة المجلسى ورشيد رضا فى المنار ، فى مبحث السوابق والآراء وأهمّ المؤلّفات فى مجال التفسير العلمى الذى تقدّم ذكره فى هذا المقال.

(۱۵۰) الميزان فى تفسير القرآن ۱: ۶.

(۱۵۱) فى ظلال القرآن ۱: ۲۶۱ ـ ۲۶۳ ، بتصرّف.

(۱۵۲) التفسير والمفسّرون ۲: ۴۹۱ ـ ۴۹۴ ، مع تلخيصٍ وتصرّف فى العبارات.

(۱۵۳) المصدر نفسه.

(۱۵۴) سورة الرعد ۱۳: الآية ۲.

مصادر البحث:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ اتّجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر، الجزء الثانى.

٣ ـ الإتقان فى علوم القرآن ؛ جلال الدين السيوطى.

٤ ـ إحياء علوم الدين ؛ أبو حامد الغزالى.

٥ ـ الأسس المنطقيّة للاستقراء ؛ الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.

٦ ـ *اسلام و هيئت* = الإسلام والهيئة ؛ هبة الدين الشهرستانى، نقله للفارسيّة خرّمشاهى.

٧ ـ أصول التفسير وقواعده ؛ عبد الرحمن العكّ.

٨ ـ الإكليل فى استنباط التنزيل.

٩ ـ بحار الأنوار ؛ محمّد باقر المجلسى.

١٠ ـ برهان رسالت = برهان الرسالة ؛ جعفر السبحانى، انتشارات مكتبة الصدر ـ طهران، ١٣٩٨ هـ

١١ ـ البرهان فى علوم القرآن ؛ بدر الدين محمّد بن عبد اللّه الزركشى.

١٢ ـ پژوهشي در اعجاز علمي قرآن = بحثٌ فى الإعجاز العلمى للقرآن ؛ الدكتور محمّد على رضائى إصفهانى، انتشارات كتاب مبين، ١٣٨٠ ش.

١٣ ـ تاج العروس.

١٤ ـ تاريخ التمدّن الإسلامى ؛ جرجى زيدان.

١٥ ـ تاريخ نهضت‌هاي دينى اسلامي معاصر = تاريخ الحركات الدينيّة الإسلاميّة المعاصرة.

١٦ ـ *تاريخچه زمان* = تاريخ الزمن ؛ ستيفن هاوكينغ ؛ ترجمه للفارسيّة داد فرما.

١٧ ـ *تفسير به رأي* = التفسير بالرأى ؛ ناصر مكارم الشيرازى.

١٨ ـ *تفسير و تفاسير جديد* = التفسير والتفاسير الجديدة ؛ بهاء الدين خرّمشاهى.

۱۹ ـ تفسير جزء عمّ ؛ محمّد عبده.

۲۰ ـ *تفسير صحيح آيات مشكله قرآن* = التفسير الصحيح لمشكل آيات القرآن ؛ جعفر السبحانى، إعداد السيّد هادى خسروشاهى.

۲۱ ـ التفسير العلمى فى الميزان ؛ أحمد عمر أبو حجر، دار قتيبة، الطبعة الأولى ـ ۱۴۱۱ هـ

۲۲ ـ *تفسير علمي قرآن* = تفسير القرآن العلمى ؛ الدكتور ناصر رفيعى محمّدى.

۲۳ ـ تفسير القرآن الكريم ؛ محمّد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازى.

۲۴ ـ التفسير والمفسّرون ؛ الدكتور محمّد حسين الذهبى، دار الكتاب الحديث، الطبعة الثانية ـ ۱۹۷۶ م.

۲۵ ـ التفسير والمفسّرون فى ثوبه القشيب ؛ محمّد هادى معرفة.

۲۶ ـ *تفسير نمونه* = التفسير الأمثل ؛ ناصر مكارم الشيرازى.

۲۷ ـ *تكامل در قرآن* = نظريّة التطوّر فى القرآن ؛ على المشكينى.

۲۸ ـ التمهيد ؛ محمّد هادى معرفة.

۲۹ ـ الجواهر فى تفسير القرآن ؛ الطنطاوى.

۳۰ ـ جواهر القرآن ؛ أبو حامد الغزالى.

۳۱ ـ *حدس‌ها و ابطال‌ها و منطق اكتشافات* = الحدسيّات ونفيها ومنطق الاكتشافات ؛ بوبر، ترجمه للفارسيّة أحمد آرام.

۳۲ ـ *خلقت انسان در بيان قرآن* = خلق الإنسان فى بيان القرآن ؛ يد اللّه سحابى.

۳۳ ـ *درآمدي بر تفسير علمي قرآن* = مدخل إلى التفسير العلمى للقرآن ؛ محمّد على رضائى إصفهانى، ۱۳۷۵ ش.

۳۴ ـ *رازهاي آسمان‌هاي هفت‌گانه* = أسرار السماوات السبع ؛ إيمان مرادى.

۳۵ ـ الرسائل ؛ الشيخ الرئيس ابن سينا، طبعة الهند، ۱۹۰۸.

٣٦ ـ شرح المنظومة ؛ المولى هادى السبزوارى.

٣٧ ـ طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ؛ عبد الرحمن الكواكبى.

٣٨ ـ *علم و دين* = العلم والدين ؛ إيان باربور، ترجمه للفارسيّة خرمّشاهى.

٣٩ ـ العلوم فى القرآن ؛ محمّد جميل الحبّال ومقداد مرعى الجوارى.

٤٠ ـ فتوح البلدان ؛ البلاذرى.

٤١ ـ *فيزيك نوين* = الفيزياء الحديثة ؛ الدكتور أوبلاكر أريك، ترجمه للفارسيّة بهروز بيضائى.

٤٢ ـ فى ظلال القرآن ؛ سيّد قطب.

٤٣ ـ *قرآن و آخرين پيامبر* = القرآن وخاتم الأنبياء ؛ ناصر مكارم الشيرازى.

٤٤ ـ *قرآن و روان‌شناسي* = القرآن وعلم النفس ؛ محمّد عثمان نجاتى.

٤٥ ـ *قرآن و علم امروز* = القرآن والعلم الحديث ؛ عبد الغنى خطيب.

٤٦ ـ القرآن والعلم الحديث ؛ عبد الرزّاق نوفل.

٤٧ ـ مبانى اقتصاد اسلامي = أسس الاقتصاد الإسلامى ؛ مكتب التنسيق بين الحوزة والجامعة.

٤٨ ـ *مبانى و روش تفسير قرآن* = أسس وأسلوب تفسير القرآن ؛ عميد زنجانى.

٤٩ ـ *مبانى فلسفه* = أسس الفلسفة ؛ الدكتور على أكبر سياسى.

٥٠ ـ مجمع البيان فى تفسير القرآن ؛ الفضل بن الحسن الطبرسى.

٥١ ـ *مديريت اسلامي* = الإدارة الإسلاميّة ؛ محمّد حسن نبوى.

٥٢ ـ معانى الأخبار ؛ محمّد بن علىّ الصدوق.

٥٣ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن ؛ الراغب الإصفهانى.

٥٤ ـ مفاتيح الغيب ؛ الفخر الرازى.

٥٥ ـ المفسّرون حياتهم ومنهجهم ؛ السيّد محمّد الأيازى.

۵۶ ـ المنار ؛ رشید رضا.

۵۷ ـ مناهج التجدید ؛ أمین الخولی.

۵۸ ـ المیزان فی تفسیر القرآن ؛ السیّد محمّد حسین الطباطبائی، انتشارات إسماعیلیان.

۵۹ ـ نظام سیاسي اسلام = النظام السیاسی فی الإسلام ؛ نوروزی.

۶۰ ـ نظریه تکامل از دیدگاه قرآن = نظریّة التطوّر من منظار القرآن ؛ مسیح مهاجری.

۶۱ ـ *هفت آسمان* = السماوات السبع ؛ محمّد باقر بهبودی.

۶۲ ـ The Bible, The Quran and The Science = التوراة والإنجیل والقرآن والعلم الحدیث ؛ موریس بوکای.

۶۳ ـ Encyclopadia of the Quran = دائرة المعارف القرآنیّة ؛ المجلّد الثانی.

۶۴ ـ مجلّة *پیام قرآن* = نداء القرآن ؛ انتشارات دار القرآن الکریم ـ قم، العدد التجریبی.